التوضيح والبيان لشجرة

الإيمان

تفسيره .. أصوله ومواده .. من أي شيء يستمد .. فوائده وثمراته

تصنيف

العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي

١٣٠٧ - ١٣٧٦هـ

اعتنى به

أبو محمد أشرف بن عبد المقصود

أضواء السلف

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

مكتبة أضواء السلف - لصاحبها علي الحزني

الرياض - شارع سعد بن أبي وقاص - بجوار بنده - ص ب ١٢١٨٩٢ - الرمز ١١٧١١

ت ٢٣٢١٠٤٥ - محمول ٠٥٥٤٩٤٣٨٥

الموزعون المعتمدون لمنشوراتنا

- المملكة العربية السعودية: مؤسسة الجريسي.
- باقي الدول: دار ابن حزم - بيروت. ت ٧٠١٩٧٤

التوضيح والبيان لشجرة

الإيمان

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المعتني

إنَّ الحمدَ للَّهِ نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذُ باللَّه من شُرور أَنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهدِه اللَّه فلا مُضِلَّ له ، ومَنْ يُضلل فلا هادي له وأشهد أنْ لا إله إلّا اللَّه وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله .

أما بعد :

لما كان عُلوّ البنيان على قَدْر توثيق الأساس وإحْكَامه ؛ كان لِزامًا على من أراد عُلُو بنيانه أن يوثِّق أساسه ويُحْكِمه .

* قال الله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ ﴾[التوبة : ١٠٩] .

فأساسُ كل عملٍ في الإسلام إنَّما ينطلق من الإيمان الصحيح ، ويرتكز عليه ؛ كما يرتكز البناء على أركانه .

وَالبَيْتُ لا يُبْتَنَىٰ إِلَّا لَـهُ عَـمـد وَلا عِـمَـادٌ إذا لَم تُـرس أَوْتَـادٌ[١]

والمسلم بحاجة إلى تقوية هذا الإيمان على الدوام لا سيما في هذه الأيام التي تفشت فيها **ظاهرة ضعف الإيمان !!**

---

(١) من قصيدة للأفوه الأودي « طرائف الأدب » ص (١٠) .

* وصدق الشاعر إذ يقول :

إِذَا الإِيمَــانُ ضَــاعَ فَــلا أَمــان وَلَا دُنـيـا لِمَن لَم يُـحْـيِـي دِيـنـه

من هنا كان أهم ما يتعلَّمُهُ المسلم ويُعلِّمه لغيره : أمُور الإيمان وأركانه ومقتضياته ، ومُقوماته ، ومواده ، ومن أي شيء يستمدُّ ؟ ثم يجتهد في التحقق بذلك علمًا وعملًا ؛ حتى يقوى إيمانه ويصير مثل الجبال الرواسي .

وهذا هو العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي[1] يصحبنا بحديثه الممتع الجميل ؛ ليُبين لنا هذه الشجرة ـ شجرة الإيمان ـ التي هي أطيب الأشجار ، ويُعرفنا أوصافها ، وثمراتها النافعة .

هذا وقد اعتمدنا في طبعتنا هذه على النسخة التي طُبِعَت قديمًا بتحقيق الشيخ عبد الغني عبد الخالق ، فاستفدت من بعض تصويباته ومن الزيادات التي أضافها لبعض العبارات والتي لا يستقيم السياق إلا بها فوضعتها بين معقوفتين ، كما قُمنا بضبطتها ، وتنسيقها ، وتخريج آياتها وأحاديثها ، وعلَّقنا عليها ببعض الفوائد المهمة ؛ سائلين المولى جلَّ وعلا أن يحفظ علينا ديننا ودُنيانا من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وأن يميتنا على الإسلام ؛ إنه سبحانه على كل شيء قدير .

الإسماعيلية ١١ من محرم ١٤١٩ هـ   أبو محمد أشرف بن عبد المقصود

غفر الله له

---

(١) تراجع ترجمة مفصلة العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي وضعناها في مقدمة تحقيقنا لكتابه « منهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين » ؛ فأغنىٰ عن إعادتها هنا .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المُصَنِّف

الحمد لِلَّه الذي غَرَسَ شجرة الإيمان في قُلوب عباده الأخيار ، وسَقَاهَا وغَذَّاهَا بالعلوم النافعة ، والمعارف الصَّادقة ، واللهج بِذِكْرِهِ آناءَ الليل والنَّهار ، وجَعَلَهَا تُؤْتي أُكُلها وبَرَكَتِها كل حين من الخيرات والنِّعم الغِزَار .

وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وَحْده لا شريك له ، الواحد القهار ، الكريم الرحيم الغفار ، وأشهد أن مُحَمَّدًا عبده ورسوله الرسول المصطفى المختار .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسلم عَلَىٰ محمد وعَلَىٰ آله وأصحابه البَرَرَة الأخيار .

أما بعد : فهذا كتابٌ يحتوي عَلَىٰ :

« مباحث الإيمان »

التي هي أهم مَبَاحث الدِّين ، وأعظم أُصُول الحق واليقين ، مُسْتَمِدًّا ذلك من كتاب اللّه الكريم الكفيل بتحقيق هذه الأُصُول تحقيقًا لا مزيد عليه ، ومن سُنَّةِ نبيه محمد ﷺ التي تُوافق الكتاب وتُفَسِّره ، وتُعَبِّر عن كثير من مُجْملاته ، وتُفَصِّل كثيرًا من مُطْلَقَاتِه .

ـ مُبْتدِئًا بـ « **تفسيره** » .

ـ مُثنيًا بذكر « **أُصُوله ومُقَوِّماته** » ، و « **من أي شيء يستمد ؟** » .

ـ مُثَلِّثًا بـ « **فوائده وثَمَراته** » وما يَتْبَع هذه الأُصول .

* قال الله تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [إبراهيم : ٢٤ ـ ٢٥] .

فمَثَّلَ اللَّهُ كلمة الإيمان التي هي أَطْيب الكلمات بشجرةٍ هي أطيب الأشجار ، مَوْصُوفة بهذه الأوصاف الحميدة ، أُصُولها ثابتة مستقرة ونماؤها مُسْتَمر ، وثَمَرَاتها لاتزال كل وقت وكل حين ، تَغُلُّ[1] على أهلها ، وعلى غيرهم المنافع المتنوعة ، والثمرات النافعة .

وهذه الشجرة مُتفَاوتة في قُلُوب المؤمنين تَفَاوتًا عظيمًا ، بحسب تَفَاوت هذه الأوصاف التي وَصَفَهَا الله بها .

فَعَلَىٰ العبد الموفق أن يَسْعىٰ لمعرفتها ، ومعرفة أوصافها ، وأسبابها وأُصُولها ، وفُرُوعها ، ويجتهد في التَّحقق بها علمًا ، وعملًا ؛ فإن نَصِيبه من الخير والفلاح ، والسَّعادة العاجلة والآجلة ؛ بحسب نَصِيبه من هذه الشجرة .

○○○○

(١) الغَلَّة : الدَّخْلُ من كِراء دار أو ريع أرض ، والجمع غَلَّات وغِلال .
والمعنىٰ : تُدْخِلُ عليهم . « المعجم الوسيط » (٢ / ٦٦٠) .

الفصل الأول

فِي حَدِّ الإيمان وتَفْسِيره



الفصل الأول

في حَدِّ الإيمان وتَفْسِيره

حُدُود الأشياء وتفسيرها الذي يوضحها ، تتقدَّم أحكامها .

فإن الحكم على الأشياء ، فرعٌ عن تصورها .

فمن حكم على أمر من الأمور ـ قبل أن يحيط علمه بتفسيره ويتصوره تصورًا يميزه عن غيره ـ أخطأ خطأ فاحشًا .

أما حَدُّ الإيمان وتفسيره :

فهو : التصديق الجازم ، والإعتراف التام بجميع ما أمر اللّه ورسوله بالإيمان به ، والانقياد ظاهرًا وباطنًا .

فهو : تصديق القلب واعتقاده ، المتضمِّن لأعمال القلوب وأعمال البدن .

وذلك شاملٌ للقيام بالدِّين كله .

ولهذا كان الأئمة والسلف يقولون : « **الإيمانُ : قولُ القلب واللِّسان وعَمَلُ القَلْب واللِّسان والجَوَارح** » .

وهو : قولٌ ، وعملٌ ، واعتقادٌ .

يزيدُ بالطَّاعةِ ، ويَنْقُص بالمعصيةِ .

فهو يشمل :

* عقائد الإيمان .

* وأخلاقه .

* وأعماله .

○ فالإقرار والاعتراف بما للّه تعالى من الأسماء الحسنىٰ ، والصفات الكاملة العليا ، والأفعال الناشئة عن أسمائه وصفاته .

هو من أعظم أُصول الإيمان .

○ وكذلك الإعتراف بما للّه من الحقوق الخاصة ، وهو التّأله والتّعبد للّه ظاهرًا وباطنًا ، **من أُصُول الإيمان .**

○ والاعتراف بما أخبر اللّه به عن ملائكته وجنوده ، والموجودات السابقة واللاحقة ، والإخبار باليوم الآخر .

كل هذا من أُصُول الإيمان .

○ وكذلك الإيمان بجميع الرسل ـ صلوات اللَّه وسلامه عليهم ـ وما وُصِفُوا به في الكتاب والسنة من الأوصاف الحميدة .

كل هذا من أُصُول الإيمان .

○ كما أن **من أعظم أُصُول الإيمان :**

* الاعتراف بانفرادِ اللَّه بالوحدانيَّة والألوهيَّةِ .

* وعبادة اللَّه وَحْدَهُ لا شريك له .

* وإخلاص الدين للّه .

* والقيام بشرائعِ الإسلام الظّاهرة ، وحقائقه الباطنة .

كل هذا من أصول الإيمان .

* ولهذا رَتَّبَ اللّه على الإيمان : دُخُول الجنة ، والنَّجاة من النار .

* ورَتَّبَ عليه : رضوانه ، والفلاح ، والسَّعادة .

ولا يكون ذلك إلا بما ذكرنا من شُمُوله للعقائد ، وأعمال القلوب ، وأعمال الجوارح ؛ لأنه متى فات شيءٌ من ذلك حَصَل من النَّقص وفَوَات الثَّواب ، وحُصُول العقاب بِحَسَبه .



● بل أخبر اللّٰه تعالى : أن الإيمان المطلق تُنَال به أرفع المقامات في الدُّنيا ، وأعْلَىٰ المنازل في الآخرة .

فقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَـٰئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ﴾ [الحديد : ١٩] .

و ﴿ ٱلصِّدِّيقُونَ ﴾ : هم أعلى الخلق درجة بعد درجة الأنبياء في الدنيا وفي منازل في الآخرة .

وأخبر في هذه الآية : أن من حقَّق الإيمان به وَبِرُسُلِه نَالَ هذه الدرجة .

☆ ☆ ☆ ☆

● ويُفَسِّر ذلك ويوضحه :

ما ثبت في « الصحيحين » عنه ﷺ قال : « إنَّ أهْلَ الجنَّةِ لَيَتَراءَوْنَ أهْلَ الغُرَفِ في الجَنَّة كما تَرَاءَوْنَ الكوكبَ الشرقيَّ أو الغربيَّ في الأُفق ، لِتَفَاضُلِ مَابَيْنَهم » .

فقالوا : يارسول اللّٰه تلكَ مَنَازِلُ الأنبياءِ لا يَبْلُغُها غيرُهم ؟

قال : « بَلَىٰ والذي نَفْسي بيَدِهِ رِجَالٌ آمنُوا باللّٰهِ ، وَصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ »[1] .

---

(١) البخاري (٣٢٥٦) ومسلم (٢٨٣١) (١١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللّٰه عنه بنحوه . أما اللفظ المذكور فهو قريب من رواية سهل بن سعد المختصرة عند مسلم (١٨٣٠) (١٠) .
« في الأفق » : بضم الفاء وسكونها ـ ناحية السماء . « فتح الباري » (٦ / ٣٢٧) .

□ وإيمانهم باللَّه ، وتصديقهم للمرسلين :

- في ظَاهِرهم وباطنهم .

- في عقائدهم وأخلاقهم وأعمالهم .

- وفي كَمَال طَاعتهم لِلَّه وَلِرُسُلِه .

فقيامهم بهذه الأمور ، به يتحقق إيمانهم باللَّه ، وتصديقهم للمرسلين .

☆ ☆ ☆ ☆

● وقد أَمَرَ اللَّه في كتابه بهذا الإيمان العام الشامل ، وما يتبعه من الإنقياد والاستسلام ، وأَثْنَىٰ عَلَىٰ من قام به .

فقال في أعظم آيات الإيمان : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِٱللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٦] .

فأمر اللَّه عباده بالإيمان بجميع هذه الأُصُول العظيمة ، والإيمان الشامل بكل كتاب أنزله اللَّه ، وبكل رسول أرسله اللَّه وبالإخلاص والاستسلام والانقياد له وحده بقوله : ﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ .

☆ ☆ ☆ ☆

● كما أَثْنَىٰ عَلَىٰ المؤمنين في آخر السورة بالقيام بذلك .

فقال : ﴿ آمَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

فأخبر أنَّ الرسول ، ومن معه من المؤمنين ، آمنوا بهذه الأُصُول .

ولم يُفَرِّقُوا بين أَحَدٍ من الأنبياء ، بل آمنوا بهم جميعًا ، وبما أُوتُوه من عند اللَّه .

وأنهم التزموا طاعة اللَّه ، فقالوا : ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ ، وطلبوا من ربهم أن يُحَقِّق لهم ذلك ، وأن يعفو عن تقصيرهم ببعض حقوق الإيمان .

وأن مَرْجِع الخلائق كلهم ومَصيرهم إلى اللَّه يجازيهم بما قاموا به من حُقُوق الإيمان ، ومَا ضَيَّعُوه منها .

كما قال تعالى عن أتباع الأنبياء ـ عيسى وغيره ـ أنهم قالوا : ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران : ٥٣] .

فآمنوا بقلوبهم ، والتزموا بقلوبهم وانقادوا بجوارحهم ، وسألوا اللَّه أن يَكْتُبهم مع الشَّاهدين له بالتوحيد ، وأن يحقق لهم القيام به قولًا وعملًا ، واعتقادًا .

☆ ☆ ☆ ☆

● **وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُولَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾** [الأنفال : ٢ - ٤] .

فَوَصف اللَّه المؤمنين بهذه الصفات المُتَضَمِّنَة للقيام بأُصُول الدِّين وفُرُوعه ، وظاهره ، وباطنه .

* فإنه وَصَفَهم بالإيمان به ؛ إيمانًا ظهرت آثاره في عقائدهم وأقوالهم وأعمالهم الظاهرة والباطنة .

* وأنه مع ثُبُوت الإيمان في قلوبهم ؛ يزداد إيمانهم كلما تْلِيت عليهم آيات اللَّه ، ويزداد خوفهم وَوَجَلِهم كلما ذكر اللَّه .

وهم في قلوبهم وسِرِّهم متوكلون عَلَىٰ اللَّه ، ومُعْتَمِدون في أُمُورهم كلها عليه مُفَوِّضُون أُمُورهم إليه .

* وهم مع ذلك يقيمون الصَّلاة فَرْضها ، وَنَفْلَها ؛ يُقِيمونها ظاهرًا وباطنًا .

* ويؤتون الزَّكَاة ، وينفقون النَّفقات الوَاجِبة ، والمستحبة .

* ومن كان عَلَىٰ هذا الوَصْف فَلم يَبْق من الخير مطلبًا ، ولا من الشر مَهْربًا ، ولهذا قال : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ ، الذين يستحقون هذا الوَصْف على الحقيقة ، ويحققون القيام به ظاهرًا وباطنًا .

* ثم ذكر ثوابهم الجزيل :

- المغفرة ؛ المُتَضَمِّنَة لِزَوال كُلِّ شَرٍّ ومحذور .

- ورِفْعَةِ الدَّرجات عند ربهم .

- والرِّزق الكريم ؛ المُتَضَمِّن من النِّعم ؛ مَا لا عَيْنٌ رأت ، ولا أُذُنٌ سَمِعت ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بشر .

☆ ☆ ☆ ☆

● **وقال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ * ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَـٰئِكَ هُمُ ٱلْوَارِثُونَ * ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾** [المؤمنون : ١ - ١١] .

فَفَسَّر اللَّه الإيمان في هذه الآيات بجميع هذه الخصال :

فإنه أخبر بفلاح المؤمنين ، ثم وصفهم بقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ .. ﴾ إلى آخر الآيات المذكورة .

فمن استكمل هذه الأَوْصَاف فهو المؤمن حَقًّا .

ومَضْمُونها : القيام بالواجبات الظَّاهرة والباطنة ، واجتناب المُحَرَّمَات والمكروهات .

وبتكميلهم للإيمان ؛ استحقوا وِرَاثَة جَنَّات الفردوس التي هي أعلى الجنات ، كما أنهم قاموا بأعلىٰ الكمالات .

وهذه صَرِيحةٌ في أن الإيمان يشمل :

* عقائد الدِّين * وأخلاقه * وأعماله الظاهرة والباطنة .

* ويترتب على ذلك :

- أنه يزيد بزيادة هذه الأَوْصاف ، والتَّحَقُّق بها ، وينقص بنقصها .

- وأن الناس في الإيمان درجات متفاوته ، حسب تفاوت هذه الأوصاف .

□ **ولهذا كانوا ثلاث درجات :**

١- **سابقون مُقَرَّبُون** : وهم الذين قاموا بالواجبات ، والمستحبات وتركوا المُحَرَّمات ، والمكروهات ، وفُضُول المباحات .

٢- **ومقتصدون** : وهم الذين قاموا بالواجبات ، وتركوا المُحَرَّمات .

٣- **وظالمون لأنفسهم** : وهم الذين تركوا بعض واجبات الإيمان وفعلوا بعض المُحَرَّمات .

☆ ☆ ☆ ☆

● كما ذكرهم الله بقوله : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَابَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِٱلْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [فاطر : ٣٢] .

وقد يَعْطِف الله على الإيمان ؛ الأعمال الصالحة ، أو التقوى ، أو الصبر للحاجة إلى ذكر المعطوف ؛ لئلا يظنَّ الظَّان أن الإيمان يكتفىٰ فيه بما في القلب .

فكم في القرآن من قوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ ﴾[1] ثم يذكر خبرًا عنهم .

والأعمال الصالحات من الإيمان ، ومن لوازم الإيمان ، وهي التي يتحقق بها الإيمان .

فمن ادَّعىٰ أنَّه مؤمن ـ وهو لم يعمل بما أمر الله به ورسوله من الواجبات ومن ترك المُحَرَّمات ـ فليس بصادق في إيمانه .

---

(١) راجع الآيات القرآنية : [البقرة : ٢٥ ، ٨٢ ، ٢٧٧] ، [آل عمران : ٥٧] ، [النساء : ٣٤ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٧٣] ، [المائدة : ٩٣] ، [الأعراف : ٤٢] ، [يونس : ٤] ، [الأنبياء : ٩٤] ، [الحج : ١٤ ، ٢٣ ، ٥٠ ، ٥٦] ، [النور : ٥٥] ، [الشعراء : ٢٢٧] ، [العنكبوت : ٧ ، ٩ ، ٥٨] ، [الروم : ١٥ ، ٤٥] ، [لقمان : ٨] ، [السجدة : ١٩] ، [سبأ : ٤] ، [فاطر : ٧] ، [ص : ٢٤] ، [غافر : ٥٨] ، [فصلت : ٨] ، [الشورى : ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٦] ، [الجاثية : ٢١ ، ٣٠] ، [محمد : ٢ ، ١٢] [الفتح : ٢٩] ، [الطلاق : ١١] ، [الانشقاق : ٢٥] ، [البروج : ١١] ، [التين : ٦] ، [البينة : ٧] [العصر : ٣] .

● كما يُقْرِن بين الإيمان والتَّقْوَىٰ .

في مثل قوله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [يونس : ٦٢ - ٦٣] .

فذكر الإيمان الشَّامِل لما في القلوب ، من العقائد ، والإرادات الطيبة والأعمال الصالحة .

ولا يتمُّ للمؤمن ذلك حتى يَتَّقِي مَا يُسْخِطُ اللَّه ، من الكفر ، والفُسُوق والعِصْيَان ؛ ولهذا حَقَّقَ ذلك بقوله : ﴿ وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾[1] .

☆ ☆ ☆ ☆

---

(١) ورحم اللَّه التابعي المشهور طلق بن حبيب لما سُئِلَ عن التَّقْوىٰ ؟ قال : « **أن تَعْمَل بطاعة اللَّه على نُورٍ من اللَّه ؛ تَرْجُو ثَواب اللَّه . وأَنْ تَتْرُك مَعْصِية اللَّه عَلَىٰ نُورٍ من اللَّه ؛ تَخَافُ عِقَاب اللَّه** » .
رواه ابن المبارك في « الزهد » ص (٤٧٣) وأبو نعيم في « الحلية » (٣ / ٦٤) وابن أبي شيبة في « المصنف » (١٠٤٠٥) (١٧٠٠٩) وفي « كتاب الإيمان » (٩٩) ؛ **وإسناد صحيح** .
* قال الحافظ ابن القيم تعليقًا على الأثر : « وهذا من أحسن مَا قِيل في حَدِّ التقوىٰ ؛ فإن كل عَمَل لابُدَّ له من مَبْدَأ وغاية ، فلا يكون العمل طاعة وقُرْبة حتى يكون مَصْدَره عن الإيمان فيكون الباعث عليه هو الإيمان المَحْض ؛ لا العادة ، ولا الهَوَىٰ ، ولا طلب المَحْمَدة ، والجاه ، وغير ذلك ؛ بل لابد أن يكون مَبْدَؤه مَحْض الإيمان ، وغايته : ثواب اللَّه وابتغاء مرضاته ، وهو الاحتساب . ولهذا كثيرًا ما يُقْرَنُ بين هذين الأصلين ، في مثل قول النبي ﷺ : « مَنْ صَامَ رَمَضَان إيمَانًا واحْتِسَابًا » ، و « مَنْ قَامَ لَيْلَة القَدْر إيمانًا واحْتِسَابًا » ، ونظائره .
فقوله : « **عَلَىٰ نُورٍ مِن اللَّهِ** » إشارة إلى الأصل الأوَّل : وهو الإيمان ، الذي هو مصدر العمل والسبب الباعث عليه .
وقوله : « **تَرْجُو ثَوَاب اللَّه** » إشارة إلى الأصل الثاني ، وهو الاحتساب ، وهو الغاية التى لأجلها توقع العمل ، ولها يُقْصد به » اهـ . « الرِّسالة التبوكية ـ بتحقيقنا » ص (٢٧) .

● كما وصف الله بذلك خيار خلقه بقوله : ﴿ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُولَـٰئِكَ هُمُ ٱلرَّاشِدُونَ * فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الحجرات : ٧ - ٨] .

فهذه أكبر المِنَنِ ؛ أن يُحَبِّب الله الإيمان للعبد ، وَيُزَيِّنُه في قلبه ، ويذيقه حلاوته ، وتنقاد جَوَارحه للعمل بشرائع الإسلام ، ويُبَغِّض ٱللَّهُ إليه أصناف المُحَرَّمات ، والله عَلِيمٌ بمن يستحق أن يَتَفَضَّل عليه بهذا الفَضْل ، حَكِيمٌ في وَضْعِه في مَحِلِّه اللائق به .

☆ ☆ ☆ ☆

● كما ثبت في « الصحيح » من حديث أنس رضي الله عنه أنه ﷺ قال : « ثَلاثٌ مَنْ كُنْ فيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإيمانِ : أنْ يكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ المَرءَ لا يُحِبُّه إلَّا للّهِ وأَنْ يَكرهَ أَنْ يَرْجِعَ عن دينه ، كما يكرهُ أن يُقذَفَ في النارِ »[1] .

فَذَكَرَ أصل الإيمان ، الذي هو مَحَبَّة الله ورسوله ، ولا يُكْتَفَى بمطلق المحبة ، بل لابد أن تكون مَحَبَّة الله مُقَدَّمَة على جميع المَحَاب .

---

(١) البخاري (٢١) ومسلم (٤٣) (٦٧) ببعض اختلاف يسير .

□ فائدة :

خصَّ الثلاث المذكورة بهذا المعنى ؛ لأنها لا توجد إلا مِمَّن تَنَوَّر قلبه بأنوار الإيمان واليقين وانكشفت له مَحَاسن تلك الأمور ، التى أوجبت له تلك المحبة التي هي حال العارفين . =

وذكر تفريغها ؛ بأن يحب لله ، ويبغض لله .

فيحبُّ الأنبياء ، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين ؛ لأنهم قاموا بِمَحَاب اللّٰه ، واختصهم من بين خلقه .

وَذَكَرَ دَفْع مَا يُنَاقضه وَيُنَافِيه ، وأنه يكره أن يرجع عن دينه أعظم كراهة تُقَدَّر أعظم من كراهة إلقائه في النار .

وأخبر في هذا الحديث : أن للإيمان حلاوة في القلب ، إذا وجدها العبد سَلَّتْهُ عن المحبوبات الدنيوية ، وعن الأغراض النفسية ، وأَوْجَبَتْ له الحياة الطيبة .

فإن من أحبَّ اللّٰه ورسوله لَهَجَ بذكر اللّٰه طبعًا ، فإن من أحب شيئًا أكثر من ذكره ، واجتهد في مُتَابَعَةِ الرسول ، وقَدَّم مُتَابعته عَلَىٰ كل قول ، وعَلَىٰ إرادة النفوس وأغراضها .

ومن كان كذلك ؛ فنفسه مطمئنة ، مُسْتَحْلِية للطاعات ، قد انشرح صَدْرِ صاحبها للإسلام ، فهو عَلَىٰ نُورٍ مِن رَبِّه .

= * قال العلامة القرطبي : « وقد أفاد هذا الحديث : أنَّ مَحَبَّة المؤمن الموصلة لحلاوة الإيمان ، لابُدَّ أن تكون خالصة للّٰه تعالى ، غير مشوبة بالأغراض الدنيوية ، ولا الحظوظ البشرية ؛ فإن من أحبه لذلك انقطعت محبته إن حصل له ذلك الغرض ، أو يئس من حصوله ومحبة المؤمن وظيفة متعينة على الدوام ، وُجِدَت الأغراضُ أو عُدِمَتْ . ولما كانت المحبة للأعراض هي الغالبة ؛ قَلَّ وِجْدَان تلك الحلاوة ، بل قد انعدم ـ لاسيما في هذه الأزمان التى قد امَّحىٰ فيها أكثر رسوم الإيمان ـ وعلى الجملة : فمحبة المؤمنين من العبادات التى لابد فيها من الإخلاص في حُسْنْ النيات » اهـ « المفهم » (٢١٤ ، ٢١٥) .

وكثير من المؤمنين لا يَصِل إلى هذه المرتبة العالية : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا ﴾ [الأنعام : ١٣٢] .

☆ ☆ ☆ ☆

● وكذلك في « الصحيحين » من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال : « الإيمانُ بضعٌ وَسَبْعُونَ شُعبةَ ، أعلاها قولُ لا إلَه إلا اللَّهُ وأدْناها إمَاطَةُ الأذى عنِ الطَّريقِ ، والحياء شُعبةٌ من الإيمانِ »[1] .

وهذا صَرِيحٌ أن الإيمان يشمل أقوال اللِّسان ، وأعمال الجوارح ، والاعتقادات والأخلاق ، والقيامُ بِحَقِّ اللَّه ، والإحسان إلى خلقه .

* فجمع في هذا الحديث بين :

ـ **أَعْلَاهُ وَأَصْلُه وَقَاعدته** : وَهُو قول : « لا إله إلا اللَّه » اعتقادًا وتألهًا وإخلاصًا لِلَّه .

ـ **وبين أَدْنَاه** : وهو إمَاطة العَظْم والشَّوكة ، وَكُلِّ مَا يُؤْذِي عن الطريق .

(١) البخاري (٩) ومسلم (٣٥) (٥٨) واللفظ له . ولفظ البخاري : « الايمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان »

« البِضْع » : قال القاضي عياض البضع ، والبضعة بكسر الباء فيهما وفتحها ، هذا في العدد ، وأما بضعة اللحم فبالفتح لاغير ، والبضع في العدد : ما بين الثلاث والعشر ، وقيل : من ثلاث إلى تسع ، وأما الشعبة فهي القطعة من الشيء » . « فتح الباري » (١ / ٥١) .

□ **فائدة مهمة :**

قال القاضي عياض : « تكلَّف جماعة حَصْر هذه الشُّعب بطريق الاجتهاد ، وفى الحكم بكون ذلك هو المراد صعوبة ، ولا يقدح عدم معرفة حصر ذلك على التفصيل فى الإيمان » اهـ . =

فكيف بما فوق ذلك من الإحسان .

وذكر « الحياء » - والله أعلم - ؛ لأنَّ الحياء به حياة الإيمان ، وبه يَدَع العبد كُلَّ فِعْلٍ قَبِيح ، كما به يتحقَّق كل خُلُقٍ حَسَنٍ .

= ولم يتفق من عدِّ الشُّعَب على نمط واحد ، وأقربها إلى الصَّواب طريقة ابن حبان ، لكن لم نقف على بيانها من كلامه ، وقد لخصت مما أوردوه ما أذكره ، وهو :

أن هذه الشُّعَب تتفرع عن : أعمال القلب ، وأعمال اللِّسان ، وأعمال البدن .

□ **فاعمال القلب : فيه المُعتقدات والنِّيات ، وتشتمل على « أربع وعشرين خصلة »** :

١- الإيمان بالله ، ويَدْخُل فيه : الإيمان بذاته وصفاته وتوحيده بأنه ليس كمثله شيء ، واعتقاد حدوث ما دونه . ٢- والإيمان بملائكته . ٣- وكتبه . ٤- ورسله . ٥- والقدر خيره وشره .

٦- والإيمان باليوم الآخر ، **ويدخل فيه** : المسألة في القبر ، والبعث ، والنشور ، والحساب والميزان ، والصراط ، والجنة ، والنار . ٧- ومحبة الله . ٨- والحب والبغض فيه .

٩- ومحبة النبي ﷺ ، واعتقاد تعظيمه ، **ويدخل فيه** : الصلاة عليه ، واتباع سنته .

١٠- والإخلاص ، **ويدخل فيه** : ترك الرياء والنفاق .

١١- والتوبة . ١٢- والخوف . ١٣- والرجاء . ١٤- والشكر . ١٥- والوفاء .

١٦- والصبر . ١٧- والرضا بالقضاء . ١٨- والتوكل . ١٩- والرحمة .

٢٠- والتواضع ، **ويدخل فيه** : توقير الكبير ، ورحمة الصغير .

٢١- وترك الكبر والعجب . ٢٢- وترك الحسد . ٢٣- وترك الحقد . ٢٤- وترك الغضب .

□ **وأعمال اللسان ، وتشتمل على سبع خصال** :

١- التلفظ بالتوحيد . ٢- وتلاوة القرآن . ٣- وتعلم العلم . ٤- وتعليمه . ٥- والدعاء .

٦- والذكر ، **ويدخل فيه** : الاستغفار .

٧- واجتناب اللغو .

□ **وأعمال البدن** ، وتشتمل على « ثمان وثلاثين خصلة » :

* **منها ما يختص بالأعيان** : وهي « خمس عشرة خصلة » :

١- التطهير حسًّا وحكمًا . **ويدخل فيه** : اجتناب النجاسات .

٢- وستر العورة . ٣- والصلاة فَرْضًا ونفلًا .

=

وهذه الشُّعَب - المذكورة في هذا الحديث - هِي جَمِيعُ شَرَائع الدِّين الظاهرة والباطنة .

= ٤- والزكاة كذلك . ٥ - وفَكّ الرقاب .
٦- والجُود . **ويدخل فيه** : إطعام الطَّعام ، وإكرام الضيف .
٧- والصِّيام فرضًا ونفلً . ٨- والحج والعمرة كذلك .
٩- والطواف . ١٠- والاعتكاف . ١١- والتماس ليلة القدر .
١٢- والفرار بالدين . **ويدخل فيه** : الهجرة من دار الشرك .
١٣- والوفاء بالنذر . ١٤- والتحرى فى الأيمان . ١٥- وأداء الكفارات .
* **ومنها ما يتعلق بالاتباع** ، وهي « ست خصال » :
١- التعفف بالنكاح . ٢- والقيام بحقوق العيال .
٣- وبر الوالدين . **وفيه** : اجتناب العقوق .
٤- وتربية الاولاد . ٥- وصِلة الرَّحم . ٦- وطاعة السَّادة . ٧- أو الرفق بالعبيد .
* **ومنها ما يتعلق بالعامة** ، وهي « سبع عشرة خصلة » :
١- القيام بالإمرة مع العدل . ٢- ومُتَابعة الجماعة . ٣- وطاعة أولى الأمر .
٤- والإصلاح بين الناس . **ويدخل فيه** : قتال الخوارج والبغاة .
٥- والمعاونة على البر . **ويدخل فيه** : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .
٦- وإقامة الحدود . ٧- والجهاد ، **ومنه** : المرابطة .
٨- وأداء الأمانة ، **ومنه** : أداء الخمس .
٩- والقرض مع وفائه . ١٠- وإكرام الجار .
١١- وحسن المعاملة . **وفيه** : جمع المال حِلّه .
١٢- وإنفاق المال فى حَقّه . **ومنه** : ترك التبذير ، والإسراف .
١٣- ورد السلام . ١٤- وتشميت العاطس .
١٥- وكفّ الأذى عن النَّاس . ١٦- واجتناب اللهو . ١٧- وإماطة الأذى عن الطريق .
فهذه تسع وستون خصلة ، ويمكن عدها تسعا وسبعين خصلة باعتبار أفراد ما ضم بعضه إلى بعض مما ذكر والله أعلم . اهـ « فتح الباري » (١ / ٥٢ ، ٥٣) .

وهذا أيضًا صَرِيحٌ في : أن الإيمان يزيد وينقص ، بحسب زيادة هذه الشرائع والشُّعب ، واتِّصاف العبد بها أو عدمه .

ومن المعلوم أن الناس يتفاوتون فيها تفاوتًا كبيرًا .

فمن زَعَمَ أن الإيمان لايزيد ولا ينقص ، فقد خَالَفَ الحِسّ ، مع مُخَالفته لنصوص الشارع كما ترىٰ .

☆ ☆ ☆ ☆

● وقد ذكر النبي ﷺ الإسلام والإيمان في حديث جبريل المشهور حيث سأله جبريل بحضرة الصحابة ، عن الإيمان ؟

فقال : « أنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهَ ، وَاليومِ الآخرِ وَالقَدَرِ »[١] .

وفُسِّرَ الإسلام بـ : الشرائع الخمس الظاهرة .

لأنه ـ كما تقدم ـ إذا قُرِن بالإيمان غيره ، فُسِّر الإيمان بما في القَلْب من العقائد الدينية ، والإسلام أو الأعمال الصالحة بالشَّرائع الظاهرة .

وأما عند الإطلاق إذا أُطْلِقَ الإيمان ، فقد تقدَّم أنه يشمل ذلك أجمع .

☆ ☆ ☆ ☆

---

(١) رواه مسلم (٨) من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما .

● وفي « الصَّحيحين » من حديث أنس أنَّ النبي ﷺ قال : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدكم حتى أكون أحَبَّ إِليه مِن وَالِدِه وَوَلَدِه وَالنَّاسُ أَجْمَعِين »[(١)] .

فأخبر ﷺ أنه إذا تعارضت المحبتان ، فإن قَدَّمَ مايحبه الرسول كان صادق الإيمان ، وإلا فهو ناقصُ الإيمان ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥] .

فأقسم تعالىٰ أنهم لا يؤمنون حتى يُحَكِّمُوا رسوله ولا يبقى في قلوبهم حَرَجٍ وضيقٍ من حُكْمِه وينقادوا له انقيادًا ، وينشرحوا لحكمه .

وهذا شامل في تحكيمه في أُصُول الدِّين ، وفي فروعه ، وفي الأحكام الكلية ، والأحكام الجزئية .

---

(١) البخاري (١٥) ومسلم (٤٤) (٧٠) .

□ **فائدة** : « هذا الحديث على إيجازه يتضمن ذِكْر أصناف المحبة ، فإنها ثلاثة :

١ـ محبة إجلال وإعظام ؛ كمحبة الوالد والعلماء والفُضَلاء .

٢ـ ومحبه رحمه وإشفاق ؛ كمحبة الولد .

٣ـ ومحبة مشاكله ، واستحسان ، كمحبة غير من ذكرنا .

وإن محبة رسول اللّٰه ﷺ لابُدَّ أن تكون راجحة على ذلك كله .

وإنما كان ذلك ؛ لأن اللّٰه تعالى قد كَمَّله على جميع جنسه ، وفضَّلَهُ على سائر نوعه ، بما جَبَله عليه من المحاسن الظاهرة والباطنة ، وبما فَضَّلَهُ من الأخلاق الحسنة ، والمناقب الجميلة ، فهو أكمل من وطئ الثرىٰ ، وأفضل من رَكِبَ ومشى ، وأكرم من وافى القِيامة ، وأعلاهم منزلة في دار الكرامة » « المفهم » للقرطبي (١ / ٢٢٥) .

● وفي « الصحيحين » أيضًا عن أنس مرفوعًا : « لا يُؤْمِنُ أَحَدكم حَتَّىٰ يُحِبَّ لأخيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ »[(١)] .

وذلك يقتضي أن يقوم بحقوق إخوانه المسلمين الخاصة والعامة ، فإنه من الإيمان .

ومن لم يَقُم بذلك ويُحِبُّ لهم ما يحب لنفسه ، فإنه لم يؤمن الإيمان الواجب ، بل نقص إيمانه بِقَدْرِ ما نقص من الحقوق الواجبة عليه .

☆ ☆ ☆ ☆

● وفي « صحيح مسلم » من حديث العباس بن عبد المطلب رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « ذاقَ طَعْمَ الإيمانِ مَن رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالإِسْلامِ دِينًا ، وَبِمُحَمد نبيًّا »[(٢)] .

---

(١) البخاري (١٣) ومسلم (٧١) (٤٥) .

□ **فائدة** : « قال الكرماني : ومن الإيمان أيضًا : أن يبغض لأخيه ما يبغض لنفسه من الشَّرِّ ، ولم يذكره لأن حُبّ الشيء مُسْتَلْزِم لبغض نقيضه ، فترك التنصيص عليه اكتفاء . واللَّه أعلم » .
« فتح الباري » (١ / ٥٨) .

□ **فائدة أخرى** : « زاد أبو عوانة والنسائي وأحمد وأبي يعلى وابن حبان بإسناد صحيح « .. من الخير » وهذه الزيادة « من الخير » زيادة هامة تُحَدِّد المعنى المُرَاد من الحديث بِدِقَّة ، إذا أن كلمة الخير كلمة جامعة تَعُمُّ الطاعات والمباحات الدنيوية والأخروية ، وتخرج المنهيات ؛ لأن اسم الخير لايتناولها » « السلسلة الصحيحة » للألباني (١ / ١٥٥) بتصرف .

(٢) مسلم (٣٤) (٥٦) وعنده « رسولًا » بدل « نبيًّا » وهذه اللفظة عند الترمذي (٢٦٢٣) .

□ **فائدة** : قال القاضي عياض : « معنى الحديث صحَّ إيمانه ، واطمأنت به نفسه ، وخامر باطنه ؛ لأن رضاه دليل لثبوت معرفته ، ونفاذ بصيرته ، ومخالطة بشاشة قلبه ؛ لأنه من رضي أمرًا =

والرضى بذلك يقتضي الفرح بذلك ، والسُّرور بربوبية اللّه له ، وحُسْنِ تدبيره وأقضيته عليه ، [وأن] يرضىٰ بالإسلام دينًا ، ويفرح به ويحمد اللّه على هذه النعمة ، التي هي أكبر المنن حيث رضي اللّه له الإسلام ووفقه له ، واصطفاه له ، ويرضى بمحمد ﷺ نبيًا ؛ إذ هو أكمل الخلق ، وأعلاهم في كل صفة كمال ، وأمَّتُه وأتباعه أكمل الأمم وأعلاهم ، وأرفعهم درجة في الدنيا والآخرة .

فالرِّضا بنبوة الرَّسُول ، ورسالته ، واتباعه ؛ من أعظم ما يُثْمِر الإيمان ويذوق به العبد حلاوته .

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران : ١٦٤] .

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

فكيف لايَرْضَىٰ المؤمن بهذا الرسول الكريم ، الرَّءُوف الرَّحيم ، الذي أقسم اللّه أنه لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيم ، وأشرف مقام للعبد انتسابه لعبودية اللّه واقتداؤه برسوله ، ومحبته واتباعه ، وهذا علامة محبة اللّه ، وباتباعه تتحقق المحبة والإيمان .

= سهل عليه ، فكذا المؤمن إذا دخل قلبه الإيمان سهل عليه طاعة اللّه تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام ، ولذّت له » « شرح الطيبي على المشكاة » (١ / ١٢٢) .

* قال تعالى : ﴿ قُلْ إن كنتُم تُحِبُّونَ اللَّه فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبكُمْ اللَّه وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُم ﴾ [آل عمران : ٣١] .

☆ ☆ ☆ ☆

● **وفي « صحيح مسلم » من حديث سفيان بن عبدالله الثقفي قال : « قُلْتُ يَارَسُولَ اللَّه : قُلْ لِي فِي الإسْلام قولًا ، لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَك ، قَال : قُلْ آمَنْتُ بِاللَّه ثُمَّ اسْتَقِم »(١) .**

فبيَّن ﷺ بهذه الوصية الجامعة :

ـ أن العبد إذا اعترف بالإيمان ظاهرًا وباطنًا ، ثم استقام عليه قولًا وعملًا فعلًا وتركًا فقد كمل أمره ، واستقام على الصراط المستقيم .

ـ وَرَجَىٰ له أن يدخل مع من قال اللَّه عنهم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِى أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٠ ـ ٣٢] .

---

(١) مسلم (٣٨) (٦٢) .

□ **فائدة** : قال الإمام فخر الدين الرازي في قوله تعالى : ﴿ فاستقم كما أمرت ﴾ « استقامة المأمور صعب شديد ؛ فإنها تشتمل العقائد ، والأعمال ، والأخلاق .

والاستقامة في العقائد : أن يجانب التشبيه والتعطيل .

وفي الأعمال : أن يحترز عن التغيير والتبديل .

وفي الأخلاق : أن يبعد عن طرفي الإفراط والتفريط » « شرح الطيبي للمشكاة » (١ / ١٣٥) .

● وفي حديث ابن عباس المتفق عليه في وفد عبد القيس ، حين وفدوا عَلَىٰ النَّبِي ﷺ ، حيث قالوا : مُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ ؛ نُخْبِرُ به مَن وَرَاءَنَا ، وَنَدْخُل بِهِ الجَنَّة .

وسَأَلُوهُ عَن الأَشْرِبة ، فَأَمَرَهُم بِأَرْبعٍ ، وَنَهَاهُم عَن أَرْبَعٍ .

أَمَرَهُم بِالإيمانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ .

قال : « أَتَدْرُونَ مَا الإيمان بِاللَّه وَحْدَهُ ؟ » .

قالوا : اللَّه وَرَسُوله أعلم .

قال : « شَهَادَة أن لا إله إلَّا اللَّه ، وأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوله وَإِقَامِ الصَّلاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَصَومِ رَمَضَانَ ، وَأن تُعْطُوا من المَغْنَمِ الخَمْسِ » .

ونهاهم عن أربع : « عَن الحَنْتَمِ ، وَالدُّبَّاءِ ، والنَّقير ، وَالمُزَفَّتِ » .

وقال : « احْفَظُوهنَّ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَن وَرَاءَكُم »[1] .

فهذا أيضًا صَرِيحٌ في إدْخَالِه الشَّرائع الظاهرة بالإيمان ، مثل الصلاة

---

(١) البخاري (٥٤) ، ومسلم (١٧) (٢٤) .

« الحنتم » : الواحدة حنتمة ، وأصح الأقوال فيها : أنها بجرار خضر .

« الدّبّاء » : هو القرع اليابس ، أي الوعاء منه .

« النّقير » : جِذْع يُنقَر وَسَطُه .

« المقير » : هو المزفت ، وهو المَطْلي بالقار وهو الزفت .

والزكاة ، والصيام ، وإعطاء الخُمُس من المَغْنَم .

وكل هذا يُفَسِّر لنا الإيمان تفسيرًا يزيل الإشكال ، وأنه كما يدخل فيه العقائد القَلْبية ، فتدخل فيه الأعمال البدنية .

فكل مَا يُقَرِّبَ إلى اللَّه من قولٍ وعملٍ واعتقادٍ ؛ فإنه من الإيمان .

☆ ☆ ☆ ☆

● **وفي « سنن أبي داود » عن أبي أمامة ، قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « مَنْ أحَبَّ للَّه ، وَأَبْغَضَ للَّه ، وأعطىٰ للَّه ، وَمَنَعَ للَّه ، فَقَد اسْتَكْمَلَ الإِيمانَ »**[1] .

فالحبُّ والبُغْضُ : في القلب والباطن .

والعَطَاء والـمَنْع : في الظاهر .

واشترِط فيها كلها : الإخلاص ؛ الذي هو روح الإيمان ولُبُّه وسره .

* **فالحب في اللَّه** : أن يحبَّ اللَّه ، ويحب ما يحبه من الأعمال والأوقات والأزمان والأحوال ، ويحب من يحبه من أنبيائه وأتباعهم .

---

(١) **حَدِيثٌ صَحِيحٌ** : أخرجه أبو داود (٤٦٨١) ، والبغوي في « شرح السنة » (١٣ / ٥٤) بإسنادٍ حَسَنٍ . وللحديث شاهد عند أحمد (٣ / ٤٤٠) والتِّرمذي (٢ / ٨٥) بإسنادٍ حسنٍ عن معاذ ابن أنس الجهني : وزاد فيه : « وأَنْكَحَ لِلَّهِ » . وحسنه الترمذي . وللحديث طريق آخر عند أحمد (٣ / ٣٣٨) به يصح الحديث ؛ ولذا صحَّحَهُ الألباني في « السلسلة الصَّحيحة » برقم (٣٨٠) . وراجع : تعليق المُصَنِّف على الحديث في « الفتاوى السعدية » ص (٢٣ ، ٢٤) .

* **والبغض في الله** : أن يبغض كل ما أبغضه الله من كفر وفسوق وعصيان ، ويبغض من يَتَّصِف بها ، أو يدعو إليها .

* **والعَطَاء** : يشمل عطاء العبد من نفسه كل ما أمر به .

مثل قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [الليل : ٥ - ٧] .

وهذا يشمل جميع ما أمر به العبد ، لا يختص بالعطاء المالي ، بل هو جزء من العطاء .

* **وكذلك مُقَابله** : المَنْع .

وبهذه الأمور الأربعة يتم للعبد إيمانه ودينه .

☆ ☆ ☆ ☆

● **وكذلك ما رواه « الترمذي » و « النسائي » من حديث أبي هريرة مرفوعًا : « المؤْمِنُ مَن أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَىٰ دِمَائِهِم وَأَمْوَالِهِم »[1] .**

يدلُّ على أن الإيمان الصحيح يَحْمِلُ صاحبه على رعاية الأمانة ، وينهاه عن الخيانة ، حتى يطمئن إليه الناس ، ويأمنوه على أنْفَسِ الأشياء

(١) **حَدِيثٌ صَحِيحٌ** : رواه النّسائي (٨ / ١٠٤ ، ١٠٥) والترمذي (٢٦٢٧) وأحمد (٢ / ٣٧٩) وصحَّحَهُ الحاكم (١ / ١٠) وابن حبان برقم (١٨٠) بإسناد حسن .

وفي الباب من فضالة بن عبيد : رواه أحمد (٦ / ٢١ ، ٢٢) وابن ماجة (٣٩٣٤) .

وقال البوصيري في « الزوائد » : « إسناده صحيح » .

والحديث صحَّحه الألباني في « صحيح الجامع الصغير » (٦٧١٠) .

عندهم ، وهي الدِّماء والأموال(١) .

وهذه النصوص كلها تُبَيِّن معنى الإيمان ، وحقيقته .

* وأنه كما قال « الحسن » وغيره : « ليسَ الإِيمَانُ بالتَّمَنِّي والتَّحَلِّي ولكِنَّه مَا وَقَرَ في القلوبِ ، وَصَدَّقته الأعمالُ »(٢) .

☆ ☆ ☆ ☆

فالأعمال الظاهرة والباطنة تصدق الإيمان وبها يتحقق .

● **كما قال تعالى : ﴿ وَمَن يُؤمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾** [التغابن : ١١] .

فالعبد إذا أصابته المصيبة فآمن أنها من عند اللَّه ، وأن اللَّه حكيمٌ رحيمٌ في تقديرها ، وأنه أعلم بمصالح عبده هَدَى اللَّه قلبه هدايةً خاصةً للرضا والصبر والتَّسليم والطمأنينة .

● **كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِـإِيمَانِهِمْ ﴾** [يونس : ٩] .

فحذف المتعلق ؛ ليشمل هدايتهم لكل خير ، وهدايتهم لترك كل شر

---

(١) وأين هذا مما تفعله بعض الجماعات التى تنسب نَفْسها للجهاد الإسلامي من تَرْويع الآمنين وسَفْك دَم المسلمين والمستأمنين من غير المسلمين بغير الحق . مما يُشَوِّه صورة المؤمنين ، ويعطي الفرصة لأعداء المسلمين لوصف الإسلام بالقتل والإرهاب . فإنا للَّه وإنا إليه راجعون !!

(٢) **أَثَرٌ حَسَنٌ** : رَوَاهُ الخطيب البغدادي في « اقتضاء العلم العمل » (٥٦) سند حَسَنٍ . وراجع الكلام عليه في كتاب « تبييض الصحيفة بأصول الأحاديث الضعيفة » رقم (٣٣) ص (٩٩ - ١٠٢) للشيخ محمد عمرو عبد اللطيف .

وذلك بسبب إيمانهم .

فالأعمال من الإيمان من جهة ، ومن ثمرات الإيمان ولوازمه من جهة أخرى والله الموفق .

☆ ☆ ☆ ☆

○ **وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾** [البقرة : ١٤٣] .

كثير من المفسرين فَسَّروا الإيمان هنا بالصلاة إلى القبلة التي كانوا عليها ببيت المقدس قبل النسخ ، حيث مات أُناس من المسلمين قبل أن تُنْقَل القبلة إلى الكعبة ، فَحَصَل عند بعضهم اشتباه في شأنهم ، فأنزل الله هذه الآية[١] .

وذلك أن صَلاتهم إلى بيت المقدس في ذلك الوقت ، التزام منهم لطاعة الله ورسوله ، وذلك هو الإيمان .

وهذه الآية فيها :

- **بشارة كبرى :** وهي أن الله لا يضيع إيمان المؤمنين ، قَلَّ ذلك الإيمان أو كَثُر ؛ كما ورد في « الصحيح » : « أن الله يُخْرِج من النَّار مَنْ فِي قَلْبه أَدْنَىٰ مِثْقَال حَبَّةِ خَرْدَلٍ من إيمان »[٢] .

---

(١) راجع : صحيح البخاري كتاب الإيمان : باب الصلاة من الايمان ، وقول الله تعالى ﴿ وما كان الله لِيُضيعَ إيمانكم ﴾ يعنى : صلاتكم عند البيت . « فتح الباري » (١ / ٩٥ ، ٩٨) .

(٢) البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣) (٣٠٢) من حديث أبي سعيد الخدري الطويل .

ـ وبشارة لكل من عمل عملًا قصده طاعة اللّه ورسوله ، وهو متأول أو مخطئ ، أو نسخ ذلك العمل .

فإنه إنما عمل ذلك العمل ، إيمانا باللّه ، وقصدًا لطاعته ، ولكنه تأول تأويلًا أخطأ فيه ، أو أخطأ بلا تأويل ؛ فخطؤه معفو عنه ، وأجر القصد والتوجه إلى اللّه ، وإلى طاعته لا يضيعه اللّه . ولهذا قال اللّه عن المؤمنين : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] . قال اللّه على لسان نبيّه : « قَدْ فَعَلْتُ »[1] .

* وفي الحديث الصحيح : « إِذَا اجْتَهَدَ الحاكِمُ فحكَمَ ، فأصابَ فله أجْرانِ ، وإذا اجتَهَد فأخطأ ؛ فله أجرٌ واحِدٌ ، وخطؤُه مغفورٌ له »[2] .

وكذلك من نَوَىٰ عملًا صالحًا ، وحرص على فعله ، ومنعه مانع ، من مَرَضٍ أو سَفَرٍ أو عَجْزٍ أو غيرها ؛ كُتِبَ له مَانَوَاهُ من ذلك العمل .

---

(١) وذلك فيما رواه مسلم (١٢٦) (٢٠٠) من حديث ابن عباس رضي اللّه عنه : « لما نَزَلت هذه الآية ﴿ وإن تبدو ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به اللّه ﴾ [البقرة : ٢٨٤] ، قال : دَخَلَ قلوبهم منها شيءٌ لم يَدْخُلْ قلوبهم من شيء .
فقال النبي ﷺ : « قُولُوا : سَمِعْنَا وأَطَعْنَا وسَلَّمْنَا » قال : فَأَلْقَىٰ اللّهُ الإيمان في قُلوبهم ، فأنزل اللّه تعالى : ﴿ لا يكلف اللّه نفسًا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا (قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ) ربنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا (قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ) ربنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا (قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ) واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا (قال : قد فعلت) [البقرة : ٢٨٦] .

(٢) البخاري (٧٣٥٢) ومسلم (١٧١٦) (١٥) من حديث عمرو بن العاص بلفظ : « إذا حَكَم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فَلَهُ أَجْران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أَجْر » . =

كما ثبت ذلك في « صحيح مسلم » من حديث أبي موسى مرفوعًا : « مَنْ مَرِضَ أوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مَا كَانَ يَعْمَلُ صَحِيحًا مُقِيمًا »[(١)] .

ويدخل في ذلك : من أَقْعَدَهُ الكِبَر عن عَمْله المعتاد .

○○○○

= □ فائدة :

قال القرطبي : « هكذا وقع في الحديث بدأ بالحكم قبل الاجتهاد والأمر بالعكس ؛ فإن الاجتهاد يتقدم الحكم ؛ إذ لا يجوز الحكم قبل الاجتهاد اتِّفَاقًا ، لكن التقدير في قوله « إذا حكم » إذا أراد أن يحكم فعند ذلك يجتهد » .

قال : « ويؤيده أن أهل الأصول قالوا : يجب على المجتهد أن يجدد النظر عند وقوع النازلة ، ولا يعتمد على ما تقدم له ؛ لإمكان أن يظهر له خلاف غيره » اهـ « فتح الباري » (١٣ / ٣١٩) .

(١) الحديث لم يروه مسلم وإنما هو عند البخاري (٢٩٩٦) بلفظ : « إذا مرض العبد ، أو سافر كتب ... » الحديث .

فصل

[الإيمان يزيد وينقص][1]

إذا ثبت بدلالة الكتاب والسُّنَّة معنىٰ الإيمان .

وأنه اسْمٌ جامعٌ لشرائع الإسلام ، وأُصُول الإيمان ، وحقائق الإحسان وتوابع ذلك من أُمُور الدِّين ، بل هو اسم للدين كله : عُلِمَ أنه يزيدُ وينقصُ ، ويَقْوَى وَيَضْعُف .

وهذه المسألة لا تقبل الاشتباه بوجهٍ من الوُجُوه ، لاشَرْعًا ، ولا حِسًّا ولا واقعًا .

● **وذلك أن نصوص الكتاب والسُّنَّة** : صَرِيحةٌ في زيادته ونقصانه .

* مثل قوله تعالى : ﴿ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ [الفتح : ٤] .

* ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾ [المدثر : ٣١] .

* ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] .

* ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [التوبة : ١٢٤] .

وغيرها من الآيات .

---

(١) العنوان مضاف من المعتني ؛ زيادة في الإيضاح .

* وكذلك الحسّ والواقع يشهد بذلك من جميع وجوه الإيمان ، فإن الناس في علوم الإيمان ، وفي معارفه ، وفي أخلاقه ، وأعماله الظاهرة والباطنة متفاوتون تفاوتًا عظيمًا ، في القوة والكثرة ، ووجود الآثار ووجود الموانع ، وغير ذلك .

فالمؤمنون الكُمَّل عندهم من تفاصيل علوم الإيمان ومعارفه وأعماله ، ما لا نسبة إليه من علوم عموم كثير من المؤمنين ، وأعمالهم وأخلاقهم .

فعند كثير منهم علوم ضعيفة مجملة ، وأعمال قليلة ضعيفة .

وعند كثير منهم ، من المعارضات ، والشبهات والشهوات ما يُضْعِف الإيمان ، ويُنْقِصُه درجات كثيرة ، بل تجد المؤمنين يتفاوتون تفاوتًا كثيرًا في نفس العلم الذي عرفوه من علوم الإيمان :

أحدهما : علمه فيه قويٌّ صحيح لا ريب فيه ولا شبهة .

والآخر : علمه فيه ضعيفٌ ، وعنده معارضات كثيرة تضعفه أيضًا .

* وكذلك أخلاق الإيمان يتفاوتون فيها تفاوتًا كثيرًا :

صفات : الحلم ، والصبر ، والخلق ، وغيرها .

* وكذلك في العبادات الظاهرة كالصلاة :

يُصَلِّي اثنان صلاة واحدة ، وأحدهما : يؤدي حقوقها الظاهرة والباطنة ويعبد اللَّه كأنه يراه ، فإن لم يكن يراه فإنه يراه ، والآخر : يُصَلِّيها بظاهره ، وباطنه مَشْغُول بغيرها .

* وكذلك بقية العبادات .

* ولهذا كان المؤمنون ثلاث مراتب :

١- مرتبة السابقين . ٢- ومرتبة المقتصدين . ٣- ومرتبة الظالمين .

وكل واحدة من هذه المراتب أيضًا ، أهلها متفاوتون تفاوتًا كثيرًا .

والعبد المؤمن في نفسه له أحوال وأوقات تكون أعماله كثيرة قوية .

وأحيانًا بالعكس . وكل هذا من زيادة الإيمان ونقصه ، ومن قوته وضعفه .

وكان خيار الأمة والمعتنون بالإيمان منهم يتعاهدون إيمانهم كل وقت ويجتهدون في زيادته وتقويته ، وفي دفع المعارضات المُنْقِصة له ويجتهدون في ذلك ، ويسألون اللَّه أن يثبت إيمانهم ، ويزيدهم منه من علومه وأعماله وأحواله[1] .

فنسأل اللَّه أن يزيدنا علمًا ويقينًا ، وطمأنينة به وبذكره ، وإيمانًا صادقًا .

* وخيار الخلق أيضًا يطلبون ويتنافسون في الوصول إلى عين اليقين بعد علم اليقين ، وإلى حق اليقين[2] .

---

(١) وقد روى ابن أبي شيبة في « الإيمان » (١٠٧) وابو عبيد القاسم بن سلام في « الايمان » (٢٠) بإسناد صحيح على شرط الشيخين عن الأسود بن هلال قال : كان معاذ يقول للرجل من إخوانه : « اجْلِس بنا فلنؤمن ساعة » ، فيجلسان فيذكران اللَّه ويحمدانه .

وأيضًا روى ابن أبي شيبة في « الإيمان » (١٠٤) بإسنادٍ حسن عن علقمة أنه كان يقول لأصحابه : « امشوا بنا نَزْدَادُ إيمانًا » .

(٢) أما « **علم اليقين** » : فهو ما علمه بالسَّماع والخبر القياس والنظر .

و« **عين اليقين** » : ما شاهده وعاينه بالبصر .

=

كما قال اللّٰه عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٠] .

* وقال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٥] .

* والحواريون خواص أتباع المسيح بن مريم ، حين طلبوا نزول المائدة ووعظهم عيسى على هذا الطلب ، قَالُوا : ﴿ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّاهِدِينَ ﴾ [المائدة : ١١٣] .

فذكروا حاجتهم الدنيوية ، وحاجتهم العلمية الإيمانية إلى ذلك .

○ ○ ○ ○

= و « **حق اليقين** » : ما باشره ووجده وذاقه وعرفه بالاعتبار .

فالأول : مثل من أخبر أن هناك عسلًا ، وصدق المخبر ، أو رأى آثار العسل فاستدل على وجوده =

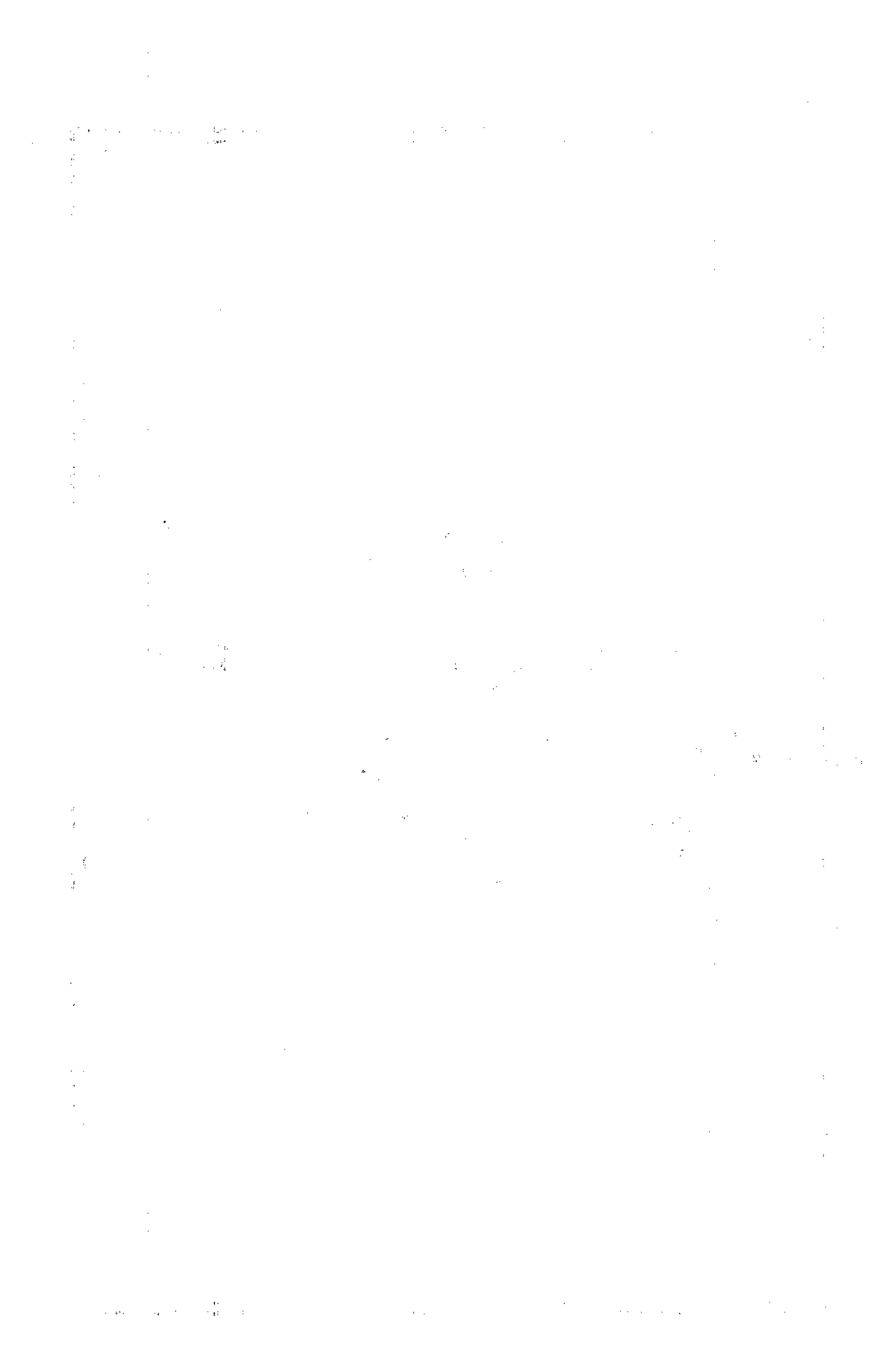
والثاني : مثل من رأى العسل وشاهده وعاينه .

والثالث : مثل من ذاق العسل ، ووجد طعمه وحلاوته .

راجع : كلام نفيس لشيخ الإسلام ابن تيمية ، في الفرق بين هذه الأمور الثلاث في « مجموع الفتاوى » (١٠ / ٦٤٥ ـ ٦٥٢) .

الفصل الثاني

فِي ذِكْرِ الأُمُورِ التي يُسْتَمَدُّ منَها الإيمان



الفصل الثاني

في ذكر الأمور التي يُسْتَمَدُّ منها الإيمان

وهذا فصلٌ عظيمُ النَّفع والحاجة ، بل الضرورة ماسَّة إلى معرفته والعناية به ، معرفة واتصافًا .

وذلك : أن الإيمان هو كمال العبد ، وبه ترتفع درجاته في الدنيا والآخرة ، وهو السَّبَب والطريق لكل خيرٍ عاجلٍ وآجلٍ .

ولا يَحْصُل ، ولا يَقوىٰ ، ولا يتم إلا بمعرفة ما مِنْهُ يستمد ، وإلى ينبوعه وأسبابه وطرقه .

واللَّه تعالى قد جعل لكل مطلوب سَبَبًا وطريقًا يُوصِّل إليه .

والإيمان أعظم المطالب وأهمّها وأعمّها ، وقد جعل اللَّه له مواد كبيرة تجلبه وتُقَوِّيه ، كما كان له أسباب تُضْعِفه وتُوهنه .

ومَوَادُه التي تجلبه وتُقَوِّيه أمران : مُجْمَلٌ ، ومُفَصَّلٌ .

□ **أما المجمل** ، فهو :

* التدبر لآيات اللَّه المتلوة من الكتاب والسنة .
* والتأمل لآياته الكونية على اختلاف أنواعها .
* والحِرص على معرفة الحق الذي خُلِقَ له العبد .
* والعمل بالحق ، فجميع الأسباب مَرْجعها إلى الأصل العظيم .

□ **وأما التفصيل :**

فالإيمان يَحْصُل ويَقْوَىٰ بأمور كثيرة :

● **منها** : بل أعظمها :

معرفة أسماء اللَّه الحُسْنَىٰ

الواردة في الكتاب والسنة .

والحرص على فهم مَعَانيها ، والتَّعَبُّد للَّه فيها .

* فقد ثبت في « الصحيحين » عنه ﷺ ، أنه قال : « إنَّ لِلَّهِ تِسْعةً وَتِسْعِين اسْمًا مَائةً إلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ »(١) .

أي : من حفظها وفهم معانيها واعتقدها وتعبد للَّه بها دخل الجنة . والجنة لايدخلها إلا المؤمنون ، فعلم أن ذلك أعظم ينبوع ومادة لحصول الإيمان وقوته وثباته .

ومعرفة الأسماء الحسنىٰ هي أصل الإيمان ، والإيمان يرجع إليها .

* ومعرفتها تتضمن أنواع التوحيد الثلاثة :

١ـ توحيد الربوبية . ٢ـ وتوحيد الإلهية .

٣ـ وتوحيد الأسماء والصفات .

---

(١) البخاري (٦٤١٠) ومسلم (٢٦٧٧) (٦) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه .
وراجع : « القواعد المثلى » لابن عثيمين والتعليق عليه ص (٣٦ - ٣٨) .

وهذه الأنواع هي روح الإيمان وروحه ، وأَصْلُه وغايته ، فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء اللَّه وصفاته ، ازداد إيمانه ، وقوى يقينه .

فينبغي للمؤمن أن يبذل مقدوره ومستطاعه في معرفة الأسماء والصفات .

وتكون معرفته سالمة من داء التَّعطيل ، ومن داء التَّمثيل ، اللذين ابْتُلِي بهما كثير من أهل البدع المخالفة لما جاء به الرسول ، بل تكون المعرفة مُتَلَقَّاة من الكتاب والسُّنَّة ، وما روي عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، فهذه المعرفة النافعة التي لايزال صاحبها في زيادة في إيمانه وقوة يقينه ، وطُمأنينة في أحواله .

● ومنها :

تَدَبُّر القرآن عَلَى وجه العموم

فإن المُتَدَبِّر لا يزال يستفيد من عُلُوم القرآن ومَعَارِفه ، ما يزداد به إيمانًا .

* كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال : ٢] .

وكذلك إذا نظر إلى انتظامه وإحكامه ، وأنه يُصَدِّق بعضه بعضًا ويُوَافِق بعضه بعضًا ، ليس فيه تناقض ولا اختلاف ؛ تَيَقَّن أنه تنزيل من حَكِيمٍ حَمِيدٍ ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأنه لو كان من عند غير اللَّه ، لوجد فيه من التناقض والاختلاف أمورًا كثيرة .

* قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : ٨٢] .

وهذا من أعظم مُقَوِّيات الإيمان ، وَيُقَوِّيه من وجوه كثيرة .

فالمؤمن بمجرد ما يتلو آيات الله ، ويعرف ما ركب عليه من الأخبار الصَّادقة والأحكام الحَسَنة ؛ يَحْصُلُ له من أُمُور الإيمان خير كبير فكيف إذا أَحْسَنَ تأمله ، وفهم مَقَاصده وأسراره ؟!

* ولهذا كان المؤمنون الكُمَّل يقولون : ﴿ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ﴾ [آل عمران : ١٩٣] .

● وكذلك :

معرفة أحاديث النبي ﷺ

وما تدعو إليه من علوم الإيمان وأعماله ؛ كلها من مُحَصِّلات الإيمان ومُقَوِّيَاته .

فكلما ازداد العبد معرفة بكتاب الله وسنة رسوله ؛ ازداد إيمانه ويقينه . وقد يَصِلُ في علمه وإيمانه إلى مرتبة اليقين .

* فقد وَصَفَ الله الرَّاسخين في العلم ، الذين حَصَلَ لهم العلم التام القوي ، الذي يدفع الشُّبُهات والرِّيب ، ويُوجِب اليقين التَّام .

ولهذا كانوا سادة المؤمنين ، الذين استشهد الله بهم ، واحتج بهم على غيرهم من المُرْتَابين والجاحدين .

* كما قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَاءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا ٱلْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران : ٧] .

فالراسخون زال عنهم الجهل والرِّيب وأنواع الشبهات وردوا المتشابه من الآيات إلى المحكم منها وقالوا : آمنا بالجميع ، فكلها من عند اللَّه ، وما منه ، وما تكلَّم به وحَكَمَ به كله حقٌّ وصِدْقٌ .

* وقال تعالى : ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ [النساء : ١٦٢] .

* وقال : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا ٱلْعِلْمِ قَائِمًا بِٱلْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران : ١٨] .

ولعلمهم بالقرآن العلم التام ، وإيمانهم الصَّحيح استشهد بهم في الدنيا والآخرة[١] .

---

(١) **فائدة :**

وفي استشهاده سبحانه بأولي العلم على أَجَلِّ مَشْهودٍ عليه ، وهو توحيده دلالة على فضل العلم وأهله من وجوه :

١ـ استشهادهم دون غيرهم من البَشَر .

٢ـ اقتران شهادتهم بشهادته .

٣ـ اقترانُها بشهادة ملائكته .

=

* كما قال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الروم : ٥٦] .

وأخبر تعالى في عدة آيات أن القرآن آيات للمؤمنين ، [وآيات] للموقنين ؛ لأنه يَحْصُلُ لهم بتلاوته وتدبره من العلم واليقين والإيمان بحسب ما فتح الله عليهم منه ، فلا يزالون يزدادون علمًا وإيمانًا ويقينًا .

=٤ـ أن في ضمن هذا تزكيتهم وتعديلهم ؛ فإن الله لا يستشهد من خلقه إلا العدول .
٥ـ أنه وصفهم بكونهم أولي العلم ، وهذا يدلُّ على اختصاصهم به وأنهم أهله وأصحابه ، ليس بمُستعارٍ لهم .
٦ـ أنه سبحانه استشهد بنفسه وهو أجل شاهدٍ ، ثم بخيار خلقه ، وهم ملائكته والعلماء من عباده ويكفيهم بهذا فضلًا وشرفًا .
٧ـ أنه استشهد بهم على أجلِّ مشهود به وأعظمه وأكبره وهو شهادة أن لا إله إلا هو ، والعظيم القَدْرِ إنما يستشهد على الأمر العظيم أكابر الخلق وساداتهم .
٨ـ أنه سبحانه جعل شهادتهم حُجّه على المُنكرين ، فهم بمنزلة أدلته وآياته وبراهينه الدَّالة على توحيده .
٩ـ أنه سبحانه أفرد الفعل المتضمن لهذه الشهادة الصادرة منه ومن ملائكته ومنهم ، ولم يعطف شهادتهم بفعل آخر على شهادته ، وهذا يدلُّ على شدة ارتباط شهادتهم بشهادته ، فكأنه سبحانه شهد لنفسه بالتوحيد على ألسنتهم ، وأنطقهم بهذه الشهادة ، فكان هو الشاهد بها لنفسه إقامة وإنطاقًا وتعليمًا ، وهم الشاهدون بها له إقرارًا واعترافًا وتصديقًا وإيمانًا .
١٠ـ أنه سبحانه جعلهم مؤدِّينَ لحقِّهِ عند عبادِهِ بهذه الشهادة ، فإذا أدَّوْها فقد أدَّوا الحق المشهود به فثبت الحقُّ المشهود به ، فوجب على الخَلْق الإقرارُ به ، وكان ذلك غاية سعادتهم في معاشهم ومعادهم ، وكل من نالهُ الهدى بشهادتهم ، وأقرَّ بهذا الحق بسبب شهادتهم ، فلهم من الأجر مثل أجره . وهذا فضل عظيم لا يدرى قدرة إلا الله ، وكذلك كُلُّ من شهد بها عن شهادتهم فلهم من الأجر مثل أجره أيضًا » . « مفتاح دار السعادة » (١ / ٢١٩ ـ ٢٢١)

فالتَّدَبُّر للقرآن من أعظم الطُّرق والوسائل الجالبة للإيمان ، والمقوية له .

* قال تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [ص : ٢٩] .

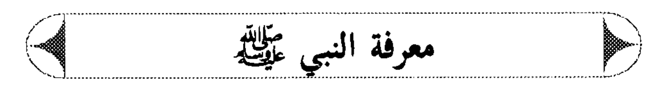
فاسْتِخْرَاج بركة القرآن التي من أهمها حُصُول الإيمان سبيله وطريقه تدبر آياته وتأملها كما ذكر أن تدبره يُوقِفُ الجاحد عن جُحوده ، ويمنع المعتدي على الدِّين من اعتدائه .

* قال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ ﴾ [المؤمنون : ٦٨] .

أي فلو تَدَبَّرُوه حقَّ تَدَبُّره ، لمنعهم مما هم عليه من الكفر والتكذيب وأوْجَب لهم الايمان واتِّباع من جاء به .

* وقال تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ﴾ [يونس : ٣٩] أي : فلو حصل لهم الإحاطة بعلمه ، لمنعهم من التكذيب ، وَأَوْجَب لهم الإيمان .

● **ومن طُرُق مُوجِبات الإيمان وأسبابه :**



ومعرفة ماهو عليه من الأخلاق العالية ، والأوصاف الكاملة .

فإن من عرفه حقَّ المعرفة لم يَرْتَبْ في صِدْقه ، وصَدَّقَ ماجاء به من الكتاب والسُّنَّة ، والدِّين الحق . كما قال تعالى : ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾ [المؤمنون : ٦٩] .

أي : فمعرفته ﷺ تُوجِب للعبد المبادرة إلى الإيمان ممن يؤمن ، وزيادة الإِيمان ممن آمَن به .

* وقال تعالى حاثًّا لهم على تَدَبُّر أحوال الرسول الدَّاعية للإِيمان : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ [سبأ : ٤٦] .

* وأقسم تعالى بكمال هذا الرسول ، وعظمة أخلاقه ، وأنه أكمل مخلوق بقوله : ﴿ ن وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ * وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ * وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ١ - ٤] .

فهو ﷺ أكبر داعٍ للإِيمان في أوصافه الحميدة ، وشمائله الجميلة وأقواله الصَّادقة النافعة ، وأفعاله الرَّشيدة .

فهو الإمام الأعظم ، والقُدْوة الأكمل

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الاحزاب : ٢١] .

﴿ وَمَا آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا ﴾ [الحشر : ٧] .

* وقد ذكر الله عن أولي الألباب ، الذين هم خَوَاص الخلق ؛ أنهم قالوا : ﴿ رَبَّنَا إِنَّنا سَمِعْنَا مُنَادِيًا ﴾ وهو هذا الرسول الكريم .

﴿ يُنَادِي لِلإِيمَانِ ﴾ بِقَوله وخُلُقِه ، وعمله ودينه ، وجميع أحواله .

﴿ فآمَنَّا ﴾ [آل عمران : ١٩٣] أي : إيمانًا لا يدخله ريبٌ .

* ولما كان هذا الإيمان من أعظم مَا يُقَرِّب العبد إلى الله ، ومن أعظم الوسائل التي يحبها الله ؛ تَوَسَّلُوا بإيمانهم أن يُكَفِّر عنهم السيئات وَيُنِيلهم المطالب العاليات فقالوا : ﴿ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران : ١٩٣] .

ولهذا كان الرَّجُل المنصف الذي ليس له إرادة إلا اتباع الحق مجرد ما يراه ويسمع كلامه يتبادر إلى الإيمان [به ﷺ] ، ولا يرتاب في رسالته بل كثير منهم مُجَرَّد ما يرى من وجهه الكريم يعرف أنه ليس بوجه كذَّاب .

* وقيل لبعضهم : لم بَادَرت إلى الإيمان بمحمد ، قبل أن تعرف رسالته ؟ فقال : « مَا أَمَرَ بشيء : فقال العقل : ليته نَهَىٰ عنه ، ولا نَهَىٰ عن شيء ، فقال العقل : لَيتَهُ أمَرَ بِهِ » .

فاستدل هذا العاقل المُوَفَّق بحسن شريعته ، وموافقتها للعقول الصَّحِيحة على رسالته ، فبادر إلى الإيمان [به] .

* ولهذا استدل ملك الروم هرقل ـ لما وُصِفَ له ما جاء به الرسول وما كان يأمر به ، وما ينهى عنه ؛ استدل بذلك ـ أنه من أعظم الرسل واعترف بذلك اعترافا جليًا[1] ؛ ولكن مَنَعَتْهُ الرئاسة وخشية زَوَال مُلْكِه

(١) راجع : حديث هرقل في الصحيحين : البخاري (٧) ومسلم (١٧٧٣) (٧٤) . من حديث ابن عباس رضي الله عنهما لما تحدث هرقل إلى وفد قريش وفيهم أبا سفيان قبل أن يسلم ؛ حيث =

من اتباعه ، كما منع كثيرًا ممن اتضح له أنه رسول اللّه حقًّا ، وهذا من أكبر مَوَانع الإيمان في حقِّ أمثال هؤلاء[(١)] .

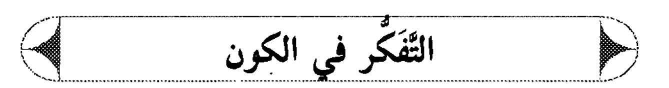
وأما أهل البصائر والعقول الصحيحة ، فإنهم يرون هذه الموانع والرئاسات والشُّبُهات والشَّهوات تَضْمَحِل ، ولايرون لها قيمة حتى يعارض بها الحق الصحيح النافع ، المُثْمِر للسَّعادة عاجلًا وآجلًا .

قال هرقل لِلتَّرْجُمَانِ : قُلْ لَهُ سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا .
وَسَأَلْتُكَ : هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ ؟ فَذَكَرْتَ : أَنْ لَا .
فَقُلْتُ : لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ ؛ لَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتَسِي بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ .
وَسَأَلْتُكَ : هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ ؟ فَذَكَرْتَ : أَنْ لَا .
قُلْتُ : فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ ؛ قُلْتُ : رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ .
وَسَأَلْتُكَ : هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ ؟ فَذَكَرْتَ : أَنْ لَا .
فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ ، وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ .
وَسَأَلْتُكَ : أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ ؟ فَذَكَرْتَ : أَنَّ ضُعَفَاءَهُمُ اتَّبَعُوهُ ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ .
وَسَأَلْتُكَ : أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ ؟ فَذَكَرْتَ : أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ .
وَسَأَلْتُكَ : أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ ؟ فَذَكَرْتَ : أَنْ لَا .
وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ .
وَسَأَلْتُكَ : هَلْ يَغْدِرُ ؟ فَذَكَرْتَ : أَنْ لَا .
وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ .
وَسَأَلْتُكَ : بِمَا يَأْمُرُكُمْ ؟ فَذَكَرْتَ : أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ .
فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا ؛ فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ . وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ .. » .

(١) للمُصَنِّف رسالة في أهم المهمات من أصول الدين وموانع الإيمان نشرت بتحقيقنا فلتراجع . فإنها هامة جدًا في بيان موانع الإيمان .

ولهذا السبب الأعظم ، كان المعتنون بالقرآن حفظًا ومعرفة ، والمعتنون بالأحاديث الصحيحة ؛ أعظم أيمانًا ويقينًا من غيرهم ، وأحسن عملًا في الغالب .

● ومن أسباب الإِيمان ودَوَاعيه :



التَّفَكُّر في الكون

في خلق السَّمَاوات والأرض وما فيهن من المخلوقات المتنوعة ، والنظر في الإِنسان ، وما هو عليه من الصفات ؛ فإن ذلك داعٍ قوي للإِيمان .

لما في هذه الموجودات من عظمة الخلق الدَّال على قدرة خالقها وعظمته ، وما فيها من الحسن والانتظام ، والإِحكام الذي يُحَيِّر الألباب ، الدَّال على سعة علم اللَّه ، وشمول حكمته .

ومافيها من أصناف المنافع والنعم الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى ، الدالة على سعة رحمة اللَّه ، وجوده وبره ، وذلك كله يدعو إلى تعظيم مبدعها وبارئها وشكره ، واللهج بذكره ، وإخلاص الدين له . وهذا هو روح الإِيمان وسره .

وكذلك النَّظر إلى فَقر المخلوقات كلها ، واضطرارها إلى ربها من كل الوجوه ، وأنها لا تستغنى عنه طرفة عين ، خصوصًا ما تُشَاهده في نفسك من أدلة الافتقار وقوة الاضطرار .

وذلك يُوجِب للعبد كمال الخضوع ، وكثرة الدعاء والتضرع إلى اللَّه

في جَلْب مايحتاجه من منافع دينه ودنياه ، ودَفْعِ مايضره في دينه ودنياه ، ويُوجِب له قوة التَّوَكُّل على ربه ، وكمال الثقة بَوَعْدِه ، وشدة الطمع في بره وإحسانه . وبهذا يتحقق الإيمان ، ويقوي التعبد ، فإن الدُّعَاء مُخّ العبادة وخَالصها .

● وكذلك :

التَّفكُّر في كثرة نِعَم اللَّه وآلائه العامة والخاصة

التي لا يخلو منها مخلوق طرفة عين ؛ فإن هذا يدعو إلى الإيمان .

* ولهذا دعى اللَّه الرسول والمؤمنين إلى شُكْره ، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٢] . فالإيمان يدعو إلى الشُّكر ، والشُّكْر ينمو به الإيمان ، فكل منهما ملازم وملزوم للآخر .

● ومن أسباب دَوَاعي الإيمان :

الإكثار من ذكر اللَّه كل وقت

ومن الدُّعاء الذي هو مُخّ العبادة[1] .

(١) يُشير المصنف رحمه اللَّه إلى حديث : « الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَة » رواه الترمذي (٣٣٧١) بإسناد ضعيف والحديث صحَّ بلفظ : « الدُّعَاءُ هو العِبَادَة » من حديث النعمان بن بشير ، أخرجه أحمد (٤ / ٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧) وأبو داود (١٤٧٨) والترمذي (٣٣٧٢) وابن ماجة (٢٨٢٨) وصحَّحه الحاكم (١ / ٤٩٠ ، ٤٩١) ووافقه الذهبي . وصحَّحه النووي في « الأذكار » ص (٣٣٣) .

فإن الذِّكْر للَّه يغرس شجرة الإِيمان في القلب ، ويُغَذِّيها وينميها .

وكلما ازداد العبد ذكراً للَّه قوي إيمانه .

كما أن الإِيمان يدعو إلى كثرة الذكر ، فمن أحب اللَّه أكثر من ذكره .

ومحبة اللَّه هي الإِيمان بل هي روحه .

● **ومن الأسباب الجالبة للإِيمان :**

معرفة مَحَاسن الدِّين

فإن الدين الإِسلامي كله محاسن[1] ؛ عقائده أصحّ العقائد وأصدقها وأنفعها ، وأخلاقه أحْمَد الأخلاق وأجملها ، وأعماله ، وأحكامه أحْسَنَ الأحكام ، وأعْدَلِها .

وبهذا النَّظَر الجليل يزين اللَّه الإيمان في قلب العبد ، ويُحَبِّبه إليه .

* كما امتن به على خيار خلقه بقوله : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات : ٧] .

فيكون الإِيمان في القلب أعظم المحبوبات ، وأجمل الأشياء .

وبهذا يذوق العبد حلاوة الإِيمان ويجدها في قلبه .

فيتجمَّل الباطن بأصول الإِيمان وحقائقه ، وتتجمَّل الجوارح بأعمال الإِيمان .

---

(١) للمصنف رحمه اللَّه رسالة هامة في بيان محاسن الدِّين ، فلتراجع .

* وفي الدُّعاء المأثور : « اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإِيمَانِ ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِين »[١] .

● ومن أعظم مُقَوِّيات الإِيمان :

الاجتهاد في التحقق في مقام الإحسان

في عبادة اللَّه ، والإِحسان إلى خَلْقِه ، فيجتهد أن يعبد اللَّه كأنه يشاهده ويراه . فإن لم يقو على هذا استحضر أن اللَّه يشاهده ويراه فيجتهد في إكمال العمل وإتقانه ولايزال العبد يجاهد نفسه ليتحقق بهذا المقام العالي ، حتى يقوى إيمانه ويقينه ، ويصل في ذلك إلى حقِّ اليقين الذي هو أعلى مراتب اليقين ؛ فيذوق حلاوة الطاعات ، ويجد ثمرة المعاملات . وهذا هو الإِيمان الكامل .

● وكذلك :

الإحسان إلى الخَلْقِ بالقول والفعل

والمال والجاه وأنواع المنافع هو من الإِيمان ، ومن دَوَاعي الإِيمان ، والجزاء من جنس العمل . فكما أحسن إلى عباد اللَّه ، وأَوْصَل إليهم من بره ، ما يقدر عليه أَحْسَنَ اللَّه إليه أنواعًا من الإِحسان .

---

(١) حَدِيثٌ صَحِيحٌ : وهو جزء من حديث عمار ابن ياسر الذي رواه أحمد (٤ / ٢٦٤) والنسائي (٣ / ٥٤ ، ٥٥) وصححه الحاكم (١ / ٥٢٤ ، ٥٢٥) ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا وقد شرحه الحافظ ابن رجب في مصنف مستقل .

ومن أفضلها : أن يقوي إيمانه ورَغْبته في فعل الخير ، والتَّقرُّب إلى ربه ، وإخلاص العمل له . وبذلك يَتَحقَّق العبد بالنُّصْح للَّه ولعباده ، فإن الدِّين النصيحة . ومن وُفِّق للإِحسان في عبادة ربه ، والإِحسان في معاملة الخلق ؛ فقد تَحَقَّقَ نُصْحُهُ .

* ولذلك قال النَّبي ﷺ : « لَا يُؤمِنُ أَحَدُكم حَتى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفسهِ » متفق عليه(١) .

● **ومنها :**

قوله تعالى : قَدْ أفْلَحَ المؤمِنُونَ ..

إلى قوله : ﴿ .. أولَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ ﴾ الآية [المؤمنون : ١ - ١٠] .

فهذه الصفات الثمان ، كل واحدة منها تُثْمر الإِيمان وَتُنَمِّيه ، كما أنها من صفات الإِيمان وداخلة في تفسيره كما تقدم .

* **فحضور القلب في الصَّلاة** ، وكون المُصَلِّي يُجَاهد نفسه على استحضار ما يقوله ويفعله من القراءة والذكر والدعاء فيها ، ومن القيام والقعود ، والركوع والسجود ؛ من أسباب زيادة الإِيمان ونموه .

* وتقدم أن اللَّه سمَّىٰ الصلاة إيمانًا بقوله : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ [البقرة : ١٤٣] . وقوله : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَاةَ إِنَّ ٱلصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت : ٤٥] .

(١) تقدم تخريجه ص (٢٩) .

فهي أكبر ناهٍ عن كل فحشاء ومنكر ينافي الإِيمان .

كما أنها تحتوي على ذكر الله ، الذي يُغَذِّي الإِيمان ويُنَمِّيه .

لقوله : ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت : ٤٥] .

* **والزكاة كذلك** تنمي الإِيمان وتزيده ، وهي فرضها ونفلها .

* كما قال النبي ﷺ : « وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ »(١) .

أي على إيمان صاحبها ، فهي دليل الإِيمان ، وتغذيه وتنميه .

* **والإِعراض عن اللغو** ، الذي هوكل كلامٍ لا خير فيه ، وكل فعل لا خير فيه ، بل يقولون الخير ويفعلونه ، ويتركون الشر قولًا وفعلًا لاشك أنه من الإِيمان ويزداد به الإِيمان ، ويُثْمِر الإِيمان .

* ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم ، إذا وجدوا غفلة أو تشعث إيمانهم ؛ يقول بعضهم لبعض : « اجْلِس بنا نُؤْمِن سَاعة »(٢) فيذكرون الله ، ويذكرون نِعَمه الدينية والدنيوية ، فيتجدد بذلك إيمانهم .

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم (٢٢٣) (١) من حديث أبي مالك الأشعري .

□ **فائدة :**

« **البرهان** » : هو الشُّعاع الذي يلي وجه الشمس ، ومنه سُمِّيت الحُجّة القاطعه برهانًا ؛ لوضوح دلالتها على ما دَلَّت عليه ، فكذلك الصدقة برهان على صحة الإيمان ، وطيب النفس بها علامة على وجود حلاوة الإيمان وطعمه ... » اهـ « جامع العلوم والحكم » (٢ / ٢٣) .

(٢) راجع : الآثار في ذلك ؛ فيما تقدم ص (٤١) .

* **وكذلك العِفَّة عن الفواحش** ، خصوصًا فاحشة الزنا ، لاريب أن هذا من أكبر علامات الإِيمان ومُنَمّياته .

فالمؤمن لخوفه مقامه بين يدي ربه ؛ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى إجابة لداعي الإِيمان ، وتغذية لما معه من الإِيمان .

* **ورعاية الأمانات والعهود وحفظها** من علائم الإِيمان .

* وفي الحديث : « لَا إِيمَانَ لِمَن لا أَمَانَةَ لَهُ »[1] .

وإذا أردت أن تعرف إيمان العبد ودينه ، فانظر حاله هل يرعى الأمانات كلها مالية ، أو قولية ، أو أمانات الحقوق ؟

وهل يرعى الحقوق ، والعهود ، والعقود التي بينه وبين اللَّه ، والتي بينه وبين العباد ؟

فإن كان كذلك : فهو صاحب دين وإيمان .

وإن لم يكن كذلك : نقص من دينه وإيمانه بمقدار ما انتقص من ذلك .

* **وختمها بالمحافظة على الصلوات** ، على حدودها ، وحقوقها وأوقاتها ؛ لأن المحافظة على ذلك بمنزلة الماء الذي يجري على بستان الإِيمان ، فيسقيه وَيُنَمّيه ويؤتي أُكُلَهُ كل حين .

---

(١) **حَدِيثٌ صَحِيحٌ** : رواه أحمد (٣ / ١٣٥ ، ١٥٤ ، ٢١٠ ، ٢٥١) وابن حبان (٤٧) والبغوي في « شرح السنة » (١ / ٧٥) والبيهقي (٦ / ٢٨٨) وابن أبي شيبة في الإيمان (٧) من حديث أنس مرفوعًا بإسنادٍ حسنٍ ، وبزيادة : « ولا دين لمن لا عهد له » . وصحَّحه الألباني في تخريج « الإيمان » لابن أبي شيبة (٧) .

وشجرة الإِيمان كما تقدم محتاجة إلى تعاهدها كل وقت بالسّقي .

وهو : المحافظة على أعمال اليوم والليلة من الطاعات والعبادات ، وإلى إزالة مايضرها من الصخور والنوابت الغريبة الضارة ، وهو العفة عن المحرمات قولًا وفعلًا .

فمتى تمت هذه الأمور حَيَ هذا البستان وَزَهَا ، وأخرج الثمار المتنوعة.

● ومن دَوَاعي الإِيمان وأسبابه :

الدعوة إلى اللّه وإلى دينه

والتَّوَاصِي بالحق ، والتَّوَاصِي بالصبر ، والدعوة إلى أصل الدين والدعوة إلى التزام شرائعه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وبذلك يُكَمِّل العبد بنفسه ، ويُكَمِّل غيره .

كما أقسم تعالى بالعصر أن جنس الإنسان لفي خُسْر ، إلا من اتَّصَف بصفاتٍ أربع : الإِيمان ، والعمل الصَّالح ؛ اللذين بهما تكميل النفس والتواصي بالحق ؛ الذي هو العلم النافع ، والعمل الصالح والدين الحق وبالصبر على ذلك كله ، وبهما يكمل غيره .

وذلك أن نفس الدعوة إلى اللّه والنصيحة لعباده ، من أكبر مُقَوِّيات الإِيمان .

وصاحب الدعوة لابد أن يسعى بنصر هذه الدعوة ، ويقيم الأدلة والبراهين على تحقيقها ، ويأتي الأمور من أبوابها ، ويتوسَّل إلى الأمور

من طُرُقها ، وهذه الأُمور من طرق الإيمان وأبوابه .

وأيضًا : فإن الجزاء من جنس العمل ، فكما سعى إلى تكميل العباد ونصحهم وتوصيتهم بالحق ، وصبر على ذلك ؛ لابد أن يجازيه اللَّه من جنس عمله ، ويؤيده بنور منه ، وروح وقوة إيمان ، وقوة التوكل .

فإن الإِيمان ، وقوة التوكل على اللَّه يحصل به النصر على الأعداء من شياطين الإِنس ، وشياطين الجن .

* كما قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النحل : ٩٩] .

وأيضًا : فإنه مُتَصَدٍّ لنصر الحق ، ومن تَصَدَّىٰ لشيء فلابد أن يفتح عليه فيه من الفتوحات العلمية والإِيمانية بمقدار صدقه وإخلاصه .

● ومن أهم مواد الإِيمان ومقوياته :

توطين النفس على مُقَاومات جميع ما يُنَافي الإِيمان

من شُعَب الكفر والنِّفَاق ، والفُسُوق والعِصْيان .

فإنه كما أنه لابد في الإِيمان من فِعْل جميع الأسباب المقوية المُنَمِّية له فلابد مع ذلك من دفع الموانع والعوائق ، وهي :

ـ الإقلاع عن المعاصي ، والتوبة مما يقع منها .

ـ وحفظ الجوارح كلها عن المُحَرَّمات .

- ومقاومة فتن الشبهات القادحة في علوم الإيمان المضعفة له والشهوات المُضْعِفَة لإرادات الإيمان ؛ فإن الإرادات التي أصلها الرغبة في الخير ومحبته ، والسعي فيه لا تتم إلا بترك إرادات ما ينافيها من رغبة النفس في الشر ، ومقاومة النفس الأمارة بالسوء .

فمتى حفظ العبد من الوقوع في فتن الشبهات ، وفتن الشهوات تمَّ إيمانه وقوي يقينه ، وصار مَثَل بستان إيمانه : ﴿ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٥] .

ومتى كان الأمر بالعكس ؛ بأن استولت عليه النفس الأمارة بالسوء ووقع في فتن الشبهات ، أو الشهوات ، أو كليهما ؛ انطبق عليه هذا المثل ، وهو قوله تعالى : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [البقرة : ٢٦٦] .

* فالعبد المؤمن المُوَفَّق لايزال يسعى في أمرين :

أحدهما : تحقيق أصول الإيمان وفروعه ، والتحقق بها علمًا وعملًا حالًا .

والثاني : السَّعْي في دَفْع ما ينافيها وينقضها أو ينقصها من الفتن الظاهرة والباطنة ، ويُدَاوي ما قَصَّر فيه من الأول ، وما تجرأ عليه من الثاني بالتوبة النصوح ، وتدارك الأمر قبل فواته .

* قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيطانِ تَذَكَّروا فَإِذا هُمْ مُبْصِرونَ ﴾ [الأعراف : ٢٠١] .

أي : مُبْصِرون الخلل الذي وقعوا فيه ، والنقص الذي أصابهم من طائف الشيطان ، الذي هو أعدى الأعداء للإِنسان ، فإذا أبصروا تداركوا هذا الخلل بِسَدِّه ، وهذا الفتق برتقه ، فعادوا إلى حالهم الكاملة ، وعاد عدوهم حسيرًا ذليلًا . وَإِخْوَانُ الشياطين ﴿ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٠٧] .

الشياطين لا تقصر عن إغوائهم ، وإيقاعهم في أشراك الهلاك والمستجيبون لهم لا يقصرون عن طاعة أعدائهم ، والاستجابة لدعوتهم حتى يقعوا في الهلاك ، ويحق عليهم الخسار .

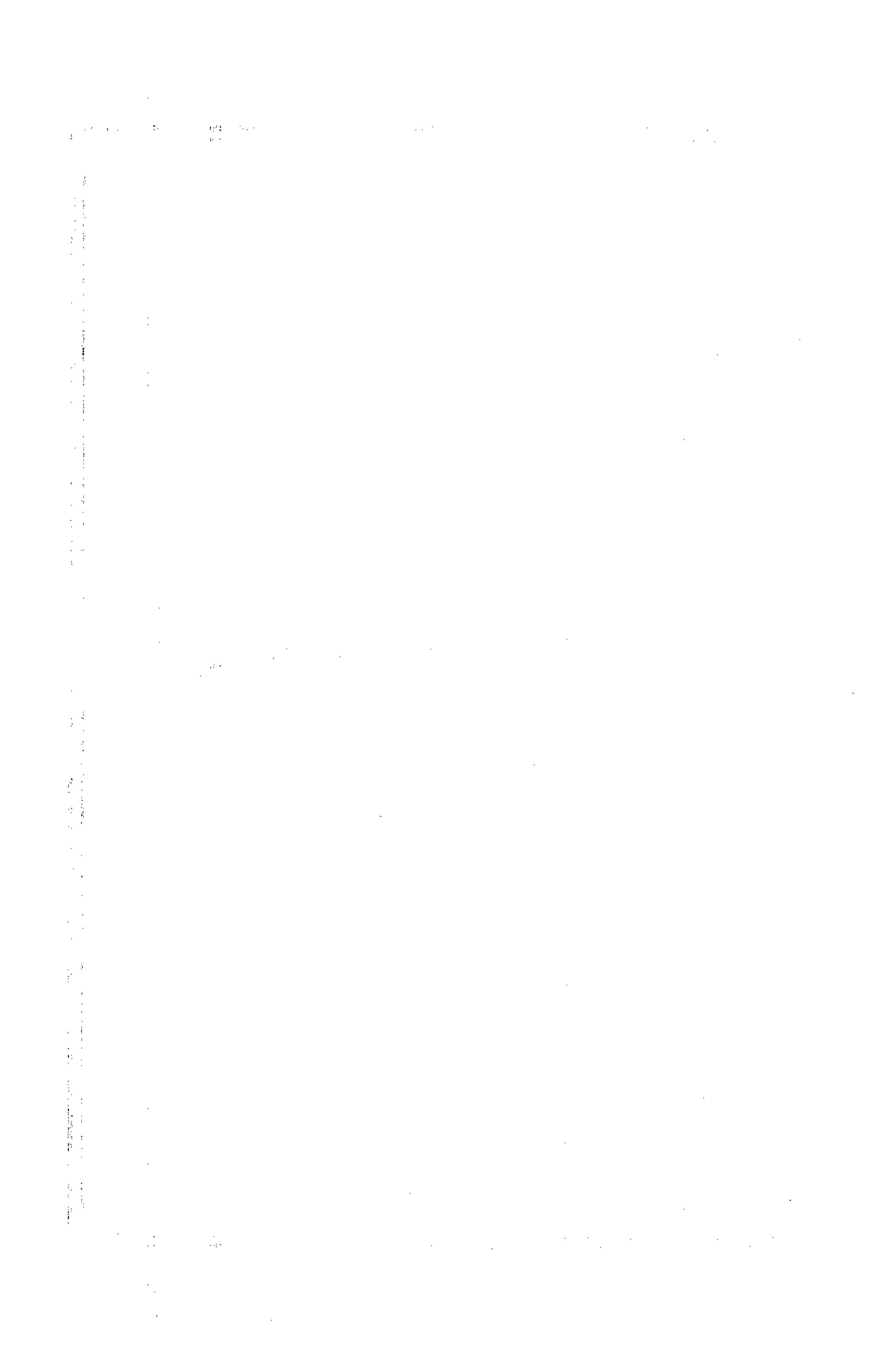
اللَّهُمَّ حبب إلينا الإِيمان ، وزَيِّنه في قلوبنا ، وكَرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الرَّاشدين ، بفضلك ومِنَّتِك ، إنك أنت العليم الحكيم .

○ ○ ○ ○



الفصل الثالث

في فوائد الإيمان وثمراته



الفصل الثالث

في فوائد الإِيمان وثمراته

كم للإِيمان الصَّحيح من الفوائد والثمرات العاجلة والآجلة ، في القلب والبدن والراحة ، والحياة الطيبة في الدنيا والآخرة .

وكم لهذه الشجرة الإِيمانية من الثمار اليانعة ، والجني اللذيذ ، والأكل الدائم ، والخير المستمر ، أُمور لا تُحْصَىٰ ، وفوائد لا تستقصى .

ومُجْمَلها : أن خيرات الدُّنيا والآخرة ، ودَفْع الشُّرور كلها من ثمرات هذه الشجرة ، وذلك : أن هذه الشَّجرة إذا ثَبَتَتْ ، وقَويت أُصولها ، وتفرّعت فروعها وَزَهَت أغصانها ، وأينعت أفنانها ؛ عادت على صاحبها ، وعلى غيره ، بكل خير عاجلٍ وآجلٍ .

● **فمن أعظم ثمارها :**

الاغتباط بولاية اللّه الخاصة

التي هي أعظم ما تنافس في المتنافسون ، وأجل ما حَصَّلَهُ المُوَفَّقُون . قال تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ . ثم وصفهم بقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [يونس : ٦٢ : ٦٣] .

فكل مؤمن تقيّ ، فهو للّه وَلِيّ(١) ولاية خاصة .

(١) قاله شيخ الإسلام ابن تيمية راجع : « الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » ص (٥٧) .

من ثمراتها : مَا قاله اللَّه عنهم : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [البقرة : ٢٥٧] .

أي : يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإِيمان ، ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم ، ومن ظُلُمات المعاصي إلى نور الطاعة ، ومن ظُلُمَات الغَفْلَة إلى نُور اليقظة والذِّكر .

وحاصل ذلك : أنه يُخْرجهم من ظلمات الشُّرور المتنوعة ، إلى ما يرفعها من أنوار الخير العاجل والآجل .

وإنما حَازُوا هذا العطاء الجزيل بإيمانهم الصَّحيح ، وتحقيقهم هذا الإِيمان بالتقوى ، فإن التقوى من تمام الإِيمان ، كما تقدم تحقيقه .

● ومن ثمرات الإِيمان :

الفوز برضاء اللَّه ، ودار كرامته

*** قال تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَـٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾** [التوبة : ٧١ ، ٧٢] .

فنالوا رضا ربهم ورحمته ، والفوز بهذه المساكن الطَّيِّبة بإيمانهم الذي

كمَّلوا به أنفسهم ، وكمَّلوا غيرهم بقيامهم بطاعة اللَّه وطاعة رسوله والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، فاستولوا على أجل الوسائل وأفضل الغايات ، وذلك فضل اللَّه .

● ومنها :

أن الإيمان الكامل يمنع من دخول النار

والإِيمان ولو قليلًا يمنع من الخلود فيها .

فإن من آمن إيمانًا أدَّىٰ به الواجبات وترك المحرمات فإنه لا يدخل النار .

كما تواترت بذلك الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ في هذا الأصل .

كما تواتر عنه : أنه لا يُخَلّد في النار ، مَن في قلبه شيء من الإِيمان ولو يسيرًا[1] .

● ومن ثمرات الإِيمان :

أن اللَّه يُدَافِع عن المؤمنين

جميع المكَاره ، ويُنَجِّيهم من الشَّدائد .

كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [الحج : ٣٨] .

---

(١) من ذلك : ما رواه البخاري (٤٤) ومسلم (١٩٣) (٣٢٥) من حديث أنس : « يَخرُج من النار من قال لا إله إلا اللَّه وفي قَلْبه وزن شعيرة من خَيْرٍ ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا اللَّه وفي قَلْبه وَزْنُ مِن خير » واللفظ للبخاري .
والمقصود بـ « الخير » في الحديث : الإيمان ؛ كما بيَّن ذلك ابن حجر في « الفتح » (١ / ١٠٥) .

أي : يدافع عنهم : كل مَكْروه . يدافع عنهم : شرّ شياطين الإنس وشياطين الجن . ويدافع عنهم : الأعداء .

ويُدَافع عنهم : المكاره قبل نُزُولها ، ويرفعها أو يُخَفِّفها بعد نزولها .

* ولما ذكر تعالى ماوقع فيه يونس عليه الصلاة والسلام ، وأنه : ﴿ نَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ ﴾ ؛ قال : ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٧ ، ٨٨] ، إذا وقعوا في الشدائد ، كما أنجينا يونس .

* قال النبي ﷺ : « دَعْوَةُ أخي يُونُسَ ما دَعَا بهَا مَكْرُوبٌ إلَّا فَرَّج اللَّه عَنْهُ كُربَتَهُ : لَا إلهَ إلا أنْتَ سُبْحَانَكَ ، إنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ »[1] .

* وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ ، أي بالقيام بالإيمان ولوازمه ﴿ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾ [الطلاق : ٢] ، أي : من كل ماضاق على الناس ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ [الطلاق : ٤] .

فالمؤمن المُتَّقِي يُيَسِّر اللَّه أمره ويُيَسِّره لليُسْرىٰ ، ويُجَنِّبه العُسْرىٰ ، ويسهل عليه الصِّعاب ويجعل له من كل هم فرجًا ، ومن كل ضيق مخرجًا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب .

وشواهد هذا كثير من الكتاب والسنة .

---

(١) حَدِيثٌ صَحِيحٌ : رواه أحمد (١ / ١٧٠) والترمذي (٣٥٠٥) والنَّسائي في « عمل اليوم والليلة » (٦٥٦) والحاكم (١ / ٥٠٥ ، ٢ / ٣٨٣) وصحّحه ووافقه الذهبي . وحسّنه الحافظ ابن حجر في « أمالي الأذكار » كما في « الفتوحات الربانية » (٤ / ١١) .

● ومنها :

أن الإِيمان والعمل الصَّالح الذي هو فرعه يُثْمِرُ الحياة الطيبة في هذا الدَّار ، وفي دار القَرَار

* قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٧] .

وذلك أن من خصائص الإِيمان ، أنه يُثْمِر طمأنينة القلب وراحته وقناعته بما رزق الله ، وعدم تَعَلُّقه بغيره . وهذه هي الحياة الطيبة فإن أصل الحياة الطيبة : راحة القلب وطمأنينته ، وعدم تشوشه مما يتشوش منه الفَاقِد للإِيمان الصحيح .

● ومنها :

أن جميع الأعمال والأقوال إنما تصح وتَكْمُل بحسب ما يقوم بقلب صاحبها من الإيمان والإِخلاص

ولهذا يذكر اللَّه هذا الشَّرط الذي هو أساس كل عمل .

* مثل قوله : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ ﴾ [الأنبياء : ٩٤] . أي : لا يجحد سعيه ، ولا يضيع عمله بل يُضَاعَف بحسب قُوَّة إيمانه .

* وقال : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإسراء : ١٩] .

والسعي للآخرة هو العمل بكل ما يُقَرِّب إليها ويُدْني منها ، من الأعمال التي شرعها الله على لسان نبيه محمد ﷺ .

فإذا تأسست على الإيمان ، وانبنت عليه كان السعي مشكورًا مقبولًا مضاعفًا ، لايضيع منه مثقال ذرة .

* وأما إذا فقد العمل الإيمان فلو استغرق العامل ليله ونهاره ، فإنه غير مقبول ، قال تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان : ٢٣] .

وذلك لأنها أُسِّسَت على غير الإيمان بالله ورسوله الذي روحه الإخلاص للمعبود ، والمتابعة للرَّسول .

* وقال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف : ١٠٣ - ١٠٥] .

فهم لـمَّا فقدوا الإيمان ، وحلَّ محله الكفر بالله وآياته حبطت أعمالهم .

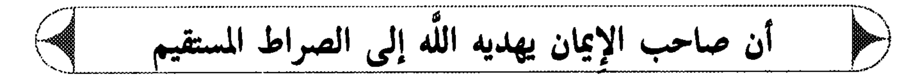
* وقال تعالى : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [الزمر : ٦٥] .

* ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ٨٨] .

ولهذا كانت الرِّدَّة عن الإيمان تحبط جميع الأعمال الصالحة ، كما أن الدخول في الإسلام والإيمان يَجُبُّ ماقبله من السَّيِّئات ، وإن عظمت

والتوبة من الذنوب المنافية للإيمان والقادحة فيه ، والمُنْقِصة له تَجْبُّ ما قبلها .

● **ومنها :**



أن صاحب الإيمان يهديه الله إلى الصراط المستقيم

ويهديه الصِّراط المستقيم .

يهديه إلى علم الحق ، وإلى العمل به ، وإلى تَلَقِّي المحاب والمَسَار بالشكر ، وتلقي المكاره والمصائب بالرضا والصبر .

* قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ ﴾ [يونس : ٩] .

* وقال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ [التغابن : ١١] .

قال بعض السلف : « هو الرَّجُل تُصِيبه المُصِيبة ، فيعلم أنَّها من عند الله فيرضىٰ ويُسَلِّم »[١] .

● **ولو لم يكن من ثمرات الإيمان ، إلا أنه :**

يُسَلِّي صاحبه عن المصائب والمكاره

التي كل أحد عُرْضَة لها في كل وقت ، ومُصَاحَبَة الإيمان واليقين أعظم مُسَلٍّ عنها ، ومُهَوِّنٍ لها ؛ وذلك لقوة إيمانه ، وقوة توكله ، ولقوة

---

(١) أَثَرٌ حَسَنٌ : رواه الطبري (٢٨ / ٨٠) من قول علقمة بن قيس بإسنادٍ حسن .

رجائه بثواب ربه ، وطمعه في فضله .

فحلاوة الأجر تخفف مرارة الصبر

* قال تعالى : ﴿ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ [النساء : ١٠٤] .

ولهذا تجد اثنين تصيبهم مصيبة واحدة أو متقاربة ، وأحدهما عنده إيمان والآخر فاقد له ، تجد الفرق العظيم بين حاليهما ، وتأثيرها في ظاهرهما وباطنهما .

وهذا الفرق ؛ راجع إلى الإيمان ، والعمل بمقتضاه .

وكما أنه يُسَلِّي عند وُرُود المصائب والمكاره ، فإنه يُسَلِّي عند فَقْد المحاب ، فإذا فَقَدَ المؤمن حبيبه الذي تمكَّن حُبُّه من قلبه ، من أهل وولده ، ومال ، وصديق ، وشبهها ؛ تَسَلَّىٰ بحلاوة إيمانه ، والإيمان خير عوض للمؤمن عن كل مفقود ، كما هو مُشَاهَد مُجَرَّب .

وفَقْدُ المحبوب في الحقيقة معدود من المصائب .

ولولا أن يعقوب عليه الصلاة والسلام عنده من الإيمان ما يهون عليه مصيبته في فَقْدِ يوسف مع شدة حُبّه العظيم ، بحيث قال لإخوته لما طلبوا منه بعض يوم ، أن يذهب معهم ليرتع ويلعب قَالَ ﴿ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ ﴾ [يوسف : ١٢] .

فأخبر أن المانع له من إرساله ؛ أنه لا يصبر على فِرَاقه ولا ساعة من نهار

ولكنهم عالجوه ، وذكروا له الأسباب التي توجب له أن يرسله معهم فأرسله ﴿ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ [الأنفال : ٤٢] .

فمن هذه حاله ، وهذا حُبّه البليغ الذي لا يمكن المعبر أن يعبر عنه ؛ هل يدخل في الذهن أنه يبقى هذه المدة الطويلة على الوجود ؟!

بل يغلب على الظن أن الحب يفتت كبده بأسرع وقت ، ولكن قوة الإيمان ، وقوة الرجاء بالله ؛ أوجب له أن يتماسك كل هذه المدة حتى جاء اللَّه بالفرج الذي وعد به المؤمنون[1] .

وكذلك أم موسى حين ذهبت اليم بموسى ، وأصبح فؤادها فارغًا من كل شيء إلا من الحزن على موسىٰ ، ولولا أن اللَّه ربط على قلبها بالإيمان وعلمت أن وعد اللَّه حق ؛ لكادت تُبْدِي بما في قلبها وتُصَرِّح بمصيبتها ولكن هو الإيمان المثبت عند الشَّدَائد ، المُسَلِّي عند المصائب المقوي إذا وهنت القوى ، المعزى إذا عَز العزا .

* وقال النبي ﷺ في وصيته العظيمة ، في حديث ابن عباس الصحيح ، الذي في « السُّنن » : « تَعَرَّف إلىٰ اللَّهْ فِي الرَّخَاء ؛ يَعرفك في الشِّدة »[2].

(١) راجع : في الكلام على قصة يوسف « قصص الأنبياء » للسعدي بتحقيقنا .

(٢) **حَدِيثٌ صَحِيحٌ** : وهو جزء من حديث رواه أحمد (١ / ٢٩٣ ، ٣٠٣ ، ٣٠٧) والترمذي (٢٥١٦) ، وقال : حَسَنٌ صحيح » ، وهو كما قال .

والحديث روى من طرق كثيرة وراجع الكلام عليه في « جامع العلوم والحكم » لابن رجب ص (١٧٤) ، وتخريج « السُّنَّة لابن أبي عاصم » للألباني (٣١٦ ، ٣١٨) .

أي : تَعَرَّف إلى اللَّه بالإِيمان ، وأعمال الإِيمان ، وأنت صحيح غني قوي ؛ يعرفك اللَّه في الشدة ، يقويك اللَّه على مباشرتها ، ويعينك على معالجتها ، وأعظم شدة تنزل بالمؤمن شدة الموت وسكراته .

فهذا الحديث : بشرىٰ لكل مؤمن قد تعرَّف إلى ربه في رَخَائِه أن يُعِينه في ذلك المقام الحرج ، والشِّدة المُزْعِجَة ، وضَعْف القوى ، وتكاثف الشياطين الذين يريدون أن يَحُولوا بين العبد وبين خَتْم حياته بالخير فإن اللَّه يُعِينه بتأييده وروحه ورحمته ، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه[1] .

● ومن ثمرات الإِيمان ولَوَازِمه من الأعمال الصَّالحة :

مَاذَكَرَهُ اللَّه بقوله :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ [مريم : ٩٦] .

أي : بسبب إيمانهم وأعمال الإيمان ، يُحِبُّهم اللَّه ، ويجعل لهم المحبة في قلوب المؤمنين .

---

(١) **فائدة :**

قال الحافظ ابن رجب : « فمن أطاع اللَّه واتقاه وحفظ حُدُوده في حياته ؛ تولّاه اللَّه عند وفاته وتوفَّاه على الإيمان وثَبَّتَهُ بالقول الثابت في القبر عند سؤال الملكين ، ودفع عنه عذاب القبر ، وآنس وحشته في تلك الوحدة والظلمة ...

وأما من لم يَتَعَرَّف إلى اللَّه في الرخاء ، فليس له من يَعْرِفه في الشِّدّة لا في الدنيا ولا في الآخرة . وشواهد هذا مشاهدة حالهم في الدنيا ، وحالهم في الآخرة أشد ، وما لهم من اللَّه من ولي ولا نصير » اهـ . « نور الاقتباس » ص (٧٥ - ٧٧) .

ومن أحَبَّه اللّه وأحبه المؤمنون من عباده حَصَلت له السَّعَادة والفلاح والفوائد الكثيرة من مَحَبَّة المؤمنين ، من الثناء ، والدُّعاء له حيًّا ومَيِّتًا والاقتداء به ، وحُصُول الإمامة في الدِّين .

وهذه أيضًا من أجل ثمرات الإِيمان : أن يجعل اللّه للمؤمنين ـ الذين كمَّلوا إيمانهم بالعلم والعمل ـ لسان صدق ، ويجعلهم أئمة يهتدون بأمره .

* كما قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة : ٢٤] .

فبالصبر واليقين ـ اللذين هما رأس الإِيمان وكماله ـ نالوا الإمامة في الدين .

---

(١) **فائدة :**

قال العلامة ابن القيم بعد أن ساق هذه الآية : « أخبر سبحانه في كتابه برفعة الدرجات في أربعة مواضع . أحدها : هذا

والثاني : قوله : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ *أُولَئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * ﴾ [الأنفال : ٢ ـ ٤] .

والثالث : قوله : ﴿ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَاتُ ٱلْعُلَىٰ ﴾ [طه : ٧٥] .

والرابع : قوله تعالى : ﴿ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَاهِدِينَ عَلَى ٱلْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ﴾ [النساء : ٩٥ ـ ٩٦] .

فهذه أربعة مواضع ، في ثلاثة منها الرفعة بالدرجات لأهل الإيمان ، الذي هو العلم النافع والعمل الصالح ، والرابع الرفعة بالجهاد . فعادت رفعة الدرجات كلها إلى العلم والجهاد اللذين بهما قوام الدِّين » « مفتاح دار السعادة » (١ / ٢٢٤) .

● ومنها : قوله تعالى :

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة : ١١]

فأهل الإيمان والعلم يرفعهم اللَّه في الدنيا والآخرة ، فهم أعلى الخلق درجة عند اللَّه ، وعند عباده في الدنيا والآخرة .

وإنما نالوا هذه الرفعة بإيمانهم الصحيح وعلمهم ويقينهم ، والعلم واليقين من أصول الإيمان .

● ومن ثمرات الإيمان :

حصول البشارة بكرامة الله

والأمن التام من جميع الوجوه .

* كما قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ فأطلقها ؛ ليعم الخير العاجل والآجل .

* وقيَّدَها في مثل قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ ﴾ [البقرة : ٢٥] .

فلهم البشارة المُطْلَقَة والمُقَيَّدة .

* ولهم الأمن في مثل قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام : ٨٢] .

* ولهم الأمن المقيد في مثل قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٨] .

فنفى عنهم الخوف لما يَسْتَقْبلونه ، والحزن مما مَضَىٰ عليهم .

وبذلك يتم لهم الأمن .

فالمؤمن له الأمن التَّام ، في الدنيا والآخرة ؛ أَمِنَ من سخط اللّه وعقابه وَأَمِنَ من جميع المكاره والشُّرور .

* وله البشارة الكاملة بكل خير ؛ كما قال تعالى : ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ﴾ [يونس : ٦٤] .

* ويوضح هذه البشارة ؛ قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٠ - ٣٢] .

* وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحديد : ٢٨] .

فَرَتَّب على الإِيمان حُصُول الثَّواب المُضَاعَف ، وكمال النور الذي يمشي به العبد في حياته ، ويمشي به يوم القيامة ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ

وَٱلْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [الحديد : ١٢] .

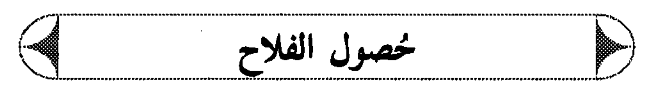
فالمؤمن مَنْ يمشي في الدنيا بنور عِلْمه وإيمانه ، وإذا طُفِئَت الأنوار يوم القيامة مَشَىٰ بنوره على الصراط حتى يَجُوز به إلى دار الكرامة والنعيم .

● **وكذلك :**

رتب المغفرة على الإيمان

ومن غُفِرَت سيئاته ؛ سَلِمَ من العقاب ، ونَالَ أعظم الثواب .

● **ومن ثمرات الإِيمان :**



حُصول الفلاح

الذي هو إدراك غاية الغايات ؛ فإنه إدراك كل مطلوب ، والسلامة من كل مَرْهُوب ، والهدى الذي هو أشرف الوسائل .

* كما قال تعالى ـ بعد ذكره المؤمنين بما أنزل على محمد ، وما أنزل على من قبله ، والإيمان بالغيب ، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة اللتين هما من أعظم آثار الإِيمان ـ قال : ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة : ٥] .

فهذا هو الهدى التَّام ، والفلاح الكامل .

فلا سبيل إلى الهدى والفلاح ؛ اللذين لا صلاح ولا سعادة إلا بهما إلا

بالإيمان التام بكل كتاب أنزله اللَّه ، وبكل رسولٍ أرسله اللَّه .

فالهدى أجل الوسائل ، والفلاح أكمل الغايات .

● ومن ثمرات الإيمان :

الانتفاع بالمواعظ والتذكير والآيات

* قال تعالى : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات : ٥٥] .

* ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر : ٧٧] .

وهذا لأن الإيمان يحمل صاحبه على التزام الحق واتباعه ، علمًا وعملًا وكذلك معه الآلة العظيمة ، والاستعداد لتلقي المواعظ النافعة والآيات الدالة على الحق ، وليس عنده مانع يمنعه من قبول الحق ، ولا من العمل به .

وأيضًا : فالإيمان يُوجِب سلامة الفطرة ، وحُسْن القَصْد ، ومن كان كذلك انتفع بالآيات .

ومن لم يكن كذلك فلا يستغرب عدم قبوله للحق ، واتباعه له .

ولهذا يذكر اللَّه - في سياق تمنع الكافرين من تصديق الرسول ، وقبول الحق الذي جاء به - السبب الذي أوجب لهم ذلك ، وهو الكفر الذي في قلوبهم .

يعني : لأن الحق واضح ، وآياته بينة واضحة ، والكفر أعظم مانع يمنع من اتباعه . أي : فلا تستغربوا هذه الحالة ، فإنها لم تزل دأب كل كافر .

● ومنها :

أن الإيمان يَحْمِلُ صاحبه على الشكر في حالة السراء والصبر في حالة الضراء وكسب الخير في كل أوقاته

* كما ثبت في الصحيح ، عن النبي ﷺ ، أنه قال : « عَجَبًا لأمر المؤمن ! إنَّ أمره كله خيرٌ إنْ أصابته سَراءُ شَكر ، فكان خيْرًا له ، وإن أصابته ضَراء صَبَرَ ، فكان خيْرًا له ، وليسَ ذلك لأحد إلا للمُؤْمن »(١) .

والشكر والصبر هما جماع كل خير ، فالمؤمن مُغْتَنم للخيرات في كل أوقاته ، رابحٌ في كل حالاته .

* وفي الصحيح عنه ﷺ : « لا يُصِيبُ المُؤْمِن مِن هَمٍّ ، وَلَا غَمٍّ وَلَا أَذَىً إِلَّا كَفَّرَ آللَّهُ عَنْهُ بِهَا مِن خَطَايَاهُ »(٢) .

□ فيجتمع للمؤمن عند النِّعم والسَّرَّاء ، نعمتان :

١ـ نعمة حُصُول ذلك المحبوب .

٢ـ ونعمة التوفيق للشُّكر الذي هو أعلى من ذلك .

وبذلك تتم عليه النِّعمة .

---

(١) رواه مسلم (٢٩٩٩) (٦٤) من حديث صهيب بن سنان .

(٢) رواه البخاري (٥٦٤١) ، (٥٦٤٢) ومسلم (٢٥٧٣) (٥٢) من حديث أبي سعيد الخدري وابي هريرة .

وراجع الكلام على : الأسباب التى تزيل الهم والحزن والفلق في رسالة المصنف « الوسائل المفيدة للحياة السعيدة » وهى مطبوعة بتحقيقنا .

□ ويجتمع له عند الضراء ، ثلاث نعم :

١ـ نعمة تكفير السَّيِّئات .

٢ـ ونعمة حصول مرتبة الصبر التي [هي] أعلىٰ من ذلك .

٣ـ ونعمة سهولة الضَّرَّاء عليه .

لأنه متى عرف حُصُول الأجر والثواب ، والتَّمَرُّن على الصبر ؛ هانت عليه وطأة المصيبة ، وخَفَّ عليه حملها .

● **ومنها :**

أن الإيمان يقطع الشكوك

التي تعرض لكثير من الناس فتضر بدينهم .

* قال اللَّه تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ [الحجرات : ١٥] .

أي : دَفَعَ الإيمان الصحيح الذي معهم الريب والشَّك الموجود ، وأزاله بالكلية ، وقَاوَم الشكوك التي تُلْقيها شياطين الإنس والجن ، والنفوس الأمَّارة بالسُّوء .

فليس لهذه العِلل المهلكة دواء إلا تحقيق الإيمان .

* ولهذا ثبت في « الصَّحيحين » ، من حديث أبي هريرة ، أن النبي ﷺ ، قال : « لا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ [حَتى يقالَ] هذا : اللَّه

خَلَقَ الْخَلْقَ : فَمنْ وَجَدَ ذلك ، فَلْيَقُلْ : آمَنْتُ باللَّهِ وَلْيَنْتَهِ ، وَلِيَتَعَوَّذْ باللَّهِ منَ الشَّيْطانِ »(١) .

□ فذكر ﷺ هذا الدواء النافع لهذا الدَّاء المُهْلِك ، وهي ثلاثة أشياء :

١- الانتهاء عن هذه الوَسَاوس الشيطانية .

٢- والاستعاذة من شَرِّ من ألقاها ، وَشَبَّه بها ؛ ليضل بها العباد .

٣- والاعتصام بعصمة الإِيمان الصحيح ؛ الذي من اعتصم به كان من الآمنين .

وذلك لأن الباطل يتضح بطلانه بأمور كثيرة ؛ أعظمها : العلم أنه مُنَافٍ للحق ، وكل مَا نَاقَض الحق فهو باطل .

﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ﴾ [يونس : ٣٢] .

● ومنها :

أن الإيمان ملجأ المؤمنين

في كل مَا يَلِم بِهم من سُرورٍ وحزنٍ وخوفٍ وأَمْنٍ وطاعةٍ ومعصيةٍ وغير ذلك من الأمور التي لابد لكل أحد منها .

فعند المحاب والسُّرور ، يلجئون إلى الإِيمان فيحمدون اللَّه ، ويثنون عليه

(١) البخاري (٣٢٧٦) ومسلم (١٣٤) (١١٢) واللفظ له بدون زيادة : « ولينته ، وليتعوذ باللَّه من الشيطان » ، وهذه الزيادة عند البخاري ، ومسلم في رواية أخرى (١٣٤) (٢١٤) وفيها : « فليستعذ باللَّه ولينته » .

ويستعملون النِّعم فيما يُحِب المُنْعِم .

□ وعند المكاره والأحزان يلجؤون إلى الإِيمان من جهات عديدة :

ـ يَتَسَلَّون بإيمانهم وحلاوته .

ـ ويَتَسَلَّون بما يترتب على ذلك من الثواب .

ـ ويُقَابِلون الأحزان والقلق ؛ براحة القلب ، والرجوع إلى الحياة الطيبة المقاومة للأحزان والأتراح .

* ويلجؤون إلى الإِيمان عند الخوف فيطمئنون إليه ، ويزيدهم إيمانًا وثباتًا ، وقوةً وشجاعةً ، ويضمحل الخوف الذي أصابهم .

*كما قال تعالى عن خيار الخلق : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ * فَٱنقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ ﴾ [آل عمران : ١٧٣ ـ ١٧٤]

لقد اضمحل الخوف من قلوب هؤلاء الأخيار ، وخَلَفَهُ قوة الإِيمان وحلاوته ، وقوة التوكل على اللّٰه ، والثقة بوعده .

* ويلجؤون إلى الإِيمان عند الأمن فلا يبطرهم ، ولا يحدث لهم الكبرياء بل يتواضعون ، ويعلمون أنه من اللّٰه ، ومن فضله وتيسيره فيشكرون الذي أنعم بالسبب والمسبب الأمن وأسبابه ، ويعلمون أنه إذا حصل لهم ظفر بالأعداء وعز ، أنه بحول اللّٰه وقوته وفضله ، لا بحولهم وقوتهم .

* ويلجؤون إلى الإيمان عند الطاعة والتوفيق للأعمال الصالحة فيعترفون بنعمة الله عليهم بها ، وأن نعمته عليهم فيها أعظم من نعم العافية والرزق ، وكذلك يحرصون على تكميلها ، وعمل كل سبب لقبولها ، وعدم ردّها أو نقصها ، ويسألون الذي تفضل عليهم بالتوفيق لها أن يتم عليهم نعمته بقبولها ، والذي تفضل عليهم بحصول أصلها أن يتمم لهم منها ما انتقصوه منها .

* ويلجؤون إلى الإيمان إذا ابتلوا بشيء من المعاصي بالمبادرة إلى التوبة منها ، وعمل ما يقدرون عليه من الحسنات لجبر نقصها .

* قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٠١] .

* وقال ﷺ : « مَثَلُ المُؤْمِنِ [ومثل الإيمان] كالْفَرَسِ المَرْبُوطِ في آخْيَتِهِ : يَجُولُ مَا يَجُولُ ، ثُمَّ يَعُودُ إلى آخِيَتِهِ »[1] .

كذلك المؤمن يجول في الغفلة والتجرئ على بعض الآثام ، ثم يعود سريعا إلى الإيمان الذي بنى عليه أموره كلها .

---

(١) **إِسْنَادُه ضَعِيفٌ** : رواه أحمد (٣ / ٣٨ ، ٥٥) وابن حبان (٦١٦) بإسنادٍ ضعيف فيه أبو سليمان الليثي . قال على بن المديني : مجهول ، وراجع : التَّعليق على « الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان » (١ / ٣٨١ - ٣٨٣) . و « فتح الوهاب بتخريج أحاديث الشهاب » (٢ / ٨٢٦)
« **الآخية** » : بالمد والتشديد ، حبيل أو عويد يعرض في الحائط ، ويدفن طرفاه فيه ، ويصير وسطه كالعروة ، وتشد فيه الدابة . ومعنى الحديث : أنه يبعد عن ربه بالذنوب ، وأصل إيمانه ثابت . « النهاية في غريب الأثر » لابن الأثير (١ / ٢٩ ، ٣٠) .

فالمؤمنون في جميع تقلباتهم وتصرفاتهم ؛ ملجؤهم إلى الإيمان ومَفْزعهم إلى تحقيقه ، ودفع ما ينافيه ويضاده ، وذلك من فضل الله عليه ومنه .

● ومنها :

أن الإيمان الصحيح يمنع العبد من الوقوع في الموبقات المهلكة

* كما ثبت في « الصحيح » عن النبي ﷺ أنه قال : « لا يَزْني الزَّاني حِينَ يَزْني وهو مُؤمن ، ولا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وهو مُؤْمن ، ولا يَشْرَبُ الخمرَ حينَ يَشْرَبُ وهو مُؤْمِنٌ .. » الحديثَ[1] .

ومن وقعت منه فإنه لضعف إيمانه ، وذهاب نُوره ، وزَوَال الحياء ممن يراه حيث نهاه وهذا معروف مُشَاهد .

والإيمان الصَّادق الصَّحيح ، يصحبه الحياء من الله ، والحب له والرجاء القوي لثوابه ، والخوف من عقابه ، والنور الذي ينافي الظلمة .

وهذه الأمور التي هي من مُكَمِّلات الإيمان ؛ لاريب أنها تأمر صاحبها بكل خير ، وتزجره عن كل قبيح .

فأخبر أن الإيمان إذا صحبه عند وجود أسباب هذه الفواحش فإن نور إيمانه يمنعه من الوقوع فيها .

فإن النور الذي يَصْحب الإيمان الصادق ، ووجود حلاوة الإيمان

---

(١) البخاري (٣٨١٠) ومسلم (٥٧) (١٠٤) من حديث أبي هريرة .

والحياء من اللَّه ـ الذي هو من أعظم شُعب الإيمان بلا شك ـ يمنع من مُوَاقعة هذه الفواحش .

● ومنها :

أنه ثبت عنه [ﷺ] في الصحيحين ـ من حديث أبي موسى رضي اللَّه عنه ـ أنه قال : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذي يَقْرَأ الْقُرآنَ ، كَمَثَلِ الأترجَّةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ ، وَرِيحُهَا طَيِّبٌ . وَ [مَثَلُ الْمُؤْمِنِ] الذي لا يَقْرأ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ ، ولَا رِيحَ لها »(١) .

وهؤلاء القسمان هم خير الخليقة ، فإن الناس أربعة أقسام :

١ـ خَيِّرٌ في نفسه ، مُتَعَدٍّ خَيْرُه إلى غيره .

وهو خير الأقسام ، فهذا المؤمن الذي قرأ القرآن ، وتعلَّم علوم الدِّين . فهو نافعٌ لنفسه ، مُتَعَدٍّ نفعه إلى غيره ، مُبَارَكٌ أينما كان ؛ كما قال اللَّه تعالى عن عيسىٰ : ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ ﴾ [مريم : ٣١] .

٢ـ طَيِّبٌ في نفسه ، صَاحِبُ خَيْر .

(١) البخاري (٥٤٢٧) ومسلم (٧٩٧) (٢٣٤) .

□ فائدة : « الأُتْرُجَّة » : بضم الهمزة والراء بينهما مثناة ساكنة وآخرها جيم ثقيلة ـ ثمار طيبة من اطيب الثمار لطيب مذاقها وحسن روائحها .

* قال ابن القيم : « وفي الأترج منافع كثيرة . وهو مركب من أربعة أشياء : قشرٍ ولحم ، وحمض وبزر ولكل واحد منهما مزاج يخصه : فقشره حار يابس ، ولحمه حار رطب وحمضه بارد يابس وبزره حار يابس ... » ، ثم أخذ يعدد فوائد كل قسم إلى أن قال : « وحقيق بشيء هذه منافعه : أن يشبه به خلاصةُ الوجود وهو المؤمن الذي يقرأ القرآن وكان بعض السلف يحب النظر إليه لما في منظره من التفريح » . « زاد المعاد » (٤ / ٢٨٥) .

وهو المؤمن الذي ليس عنده من العلم ، ما يعود به على غيره .

فهذان القسمان هما خير الخليقة ، والخير الذي فيهم عائد إلى ما معهم من الإِيمان القاصر ، والمُتَعَدِّي نَفْعُهُ إلى الغير بحسب أحوال المؤمنين .

٣- من هو عادم للخير ، ولكنه لا يتعدَّى ضَرَرُه إلى غيره .

٤- من هو صَاحِبُ شَرٍّ عَلَىٰ نَفْسِهِ ، وعَلَىٰ غيره .

فهذا شر الأقسام . ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴾ [النحل : ٨٨] .

فعاد الخير كله إلى الإِيمان وتوابعه ، وعاد الشَّرُّ إلى فقد الإِيمان ، والاتصاف بضده . والله الموفق .

* وشبيهٌ بهذا المعنى ، قوله ﷺ : « المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ ، وَأَحَبُّ إلىٰ اللَّهِ مِن المُؤْمِن الضَّعِيف وَفِي كُلٍّ خَيْر »[1] .

□ فقَسَّم ﷺ المؤمنين ، إلى قسمين :

١- قِسْمٌ قويٌّ في عمله ، وقوة إيمانه ، وفي نفعه لغيره .

٢- قِسْمٌ ضعيفٌ في هذه الأشياء .

ومع ذلك ، ففي كل من القسمين خير ؛ لأن الإِيمان وآثاره كله خير وإن تفاوت المؤمنون في هذا الخير .

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤) (٣٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

* ومثل هذا قوله ﷺ : « المُؤْمِنُ الذي يُخَالِطُ النَّاسَ ، وَيَصْبِرِ عَلَىٰ أَذَاهُم خَيْرٌ مِن المُؤْمِن الذي لَا يُخَالِط النَّاسَ ، وَلا يَصْبِر عَلَىٰ أَذَاهُم »[1] .

ومفهوم هذه النصوص الصحيحة المحكمة : أنَّ فَاقِد الإِيمان لا خير فيه لأنه إذا عدم الإيمان ؛ فإما أن يكون الشخص أحواله كلها شر وضرر على نفسه ، وعلى المجتمع من جميع الوجوه ، وإما أن يكون فيه بعض الخير الذي قد انغمر بالشر ، وغَلَبَ شَرّهُ خيره .

والمصالح إذا انغمرت واضمحلت في المفاسد ، صارت شرًا ، لأن الخير الذي معه ، يقابله شر نظيره ؛ فيتساقطان ، ويبقى الشَّر الذي لا مُقابل له من الخير يعمل عمله .

ومن تأمّل الواقع في الخلق ، رأى الأمر كما ذكر النبي ﷺ .

---

(١) **حَدِيثٌ صَحِيحٌ** : رواه أحمد (٢ / ٤٣ ، ٥ / ٣٦٥) والترمذي (٢٥٠٧) وابن ماجه (٤٠٣٢) بإسنادٍ صحيح من حديث ابن عمر رضي الله عنه .

وراجع « الصحيحة » للألباني (٣٩٣) .

□ **فائدة** : قال العلامة المناوي : « ومن ثم عَدُّو من أعظم الصبر : الصبر على مخالطة الناس وتحمل أذاهم واعمل أن الله لم يسلطهم عليك إلا لذنب صدر منك فاستغفر الله عن ذنبك واعلم أن ذلك عقوبة منه تعالى وكن فيما بينهم سميعًا لحقهم أصم عن باطلهم نطوقًا بمحاسنهم صموتًا عن مساوئهم ... ذكره الغزالي » . « فيض القدير » (٦ / ٢٥٥) .

وخلاصة الأمر في العزلة والخلطة : هو لزوم القصد في الحالتين .

* قال أبو سليمان الخطابي : « والطريقة المثلى في هذا الباب أن لا تمتنع من حق يلزمك للناس وإن لم يطالبوك به ، وأن لا تنهمك معهم في باطل لا يجب عليك وإن دعوك إليه فإن من اشتغل بما لا يعنيه فاته ما يعنيه ، ومن انحل في الباطل جمد عن الحق . فكن مع الناس في الخير ، وكن بمعزل عنهم في الشر ، وتوخ أن تكون فيهم شاهدًا كغائب وعالمًا كجاهل » . « العزلة » ص (٩٨) .

الخاتمة

فتبين مما تقدم :

□ أن هذه الشجرة المباركة ـ **شجرة الإِيمان** ـ : أبرك الأشجار ، وأنفعها وأدومها .

□ **وأن عروقها ، وأصولها ، وقواعدها** : الإِيمان ، وعلومه ، ومعارفه .

□ **وساقها ، وأفنانها** : شرائع الإِسلام ، والأعمال الصالحة ، والأخلاق الفاضلة ، المؤيدة والمقرونة بالإِخلاص لله ، والمتابعة لرسول اللَّه .

□ **وأن ثمارها ، وجناها الدائم المستمر** : السمت الحسن ، والهدى الصالح ، والخلق الحسن ، واللهج بذكر اللَّه ، وشكره ، والثناء عليه والنفع لعباد اللَّه بحسب القدرة ؛ نفع العلم والنصح ، ونفع الجاه والبدن ، ونفع المال ، وجميع طرق النفع .

وحقيقة ذلك كله : القيام بحقوق اللَّه ، وحقوق خلقه .

□ **وأن هذه الشجرة في قلوب المؤمنين متفاوتة تفاوتًا عظيمًا** بحسب ما قام بهم ، واتَّصَفُوا به من هذه الصفات ، وأن منازلهم في الآخرة تابعة لهذا كله .

وأن الفضل في ذلك كله لله وحده ، والمنة كلها [له سبحانه] ، ﴿ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الحجرات : ١٧] .

* وقال أهل الجنة بعدما دخلوها ، وتبوءوا منازلها ـ معترفين بفضل

ربهم العظيم ـ وقالوا : ﴿ وَقَالُوا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ٤٣] .

فجمع في هذه الآية بين الإخبار باعترافهم وثنائهم على الله بنعمه وفضله ؛ حيث وصلوا إلى هذه المنازل العالية ، وبين ذكر السبب الذي أوصلهم إلى ذلك بمنّة الله عليهم ؛ وهو العمل الصالح الذي هو الإيمان وأعماله .

فنسأل الله تعالى أن يمن علينا بالإيمان الصادق ، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ، ويهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب .

وصلى الله على محمد وعلى آله وصبحه وسلم تسليمًا .

☆ ☆ ☆ ☆

قال ذلك ، وكتبه العبد الفقير إلى الله : عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر السّعدي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين .

حُرِّر : في ٨ من شهر ذي الحجة سنة ١٣٧٤ ، والحمد لله رب العالمين .

وتم نقله : في ١٤ من جمادى الثانية سنة ١٣٧٦ هـ ، بقلم عبدالله السليمان السلمان فلله الحمد من قبل ومن بعد .

☆ ☆ ☆ ☆

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة